بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك

كلية الآداب

قسم اللغة العربية وأدابها

بلاغة الحذف في التراكيب النحوية في سورة البقرة

"دراسة تركيبية دلالية"

إعداد

حسين مصطفى حسين غوانمة

إشراف

د. سلمان القضاة

٢٠٠٠م

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة اليرموك

كلية الآداب

قسم اللغة العربية وآدابها

بلاغة الحذف في التراكيب النحوية في سورة البقرة

"دراسة تركيبية دلالية"

إعداد

حسين مصطفى حسين غوانمة

قدّمت هذه الرسالة استكمالاً لمتطلبات درجة الماجستير في اللغة العربية

تخصص لغة ونحو في جامعة اليرموك

«إربد - الأردن»

١٩٩٩م

لجنة المناقشة

د. سلمان محمد القضاة .....رئيساً

د. علي توفيق الحمد .....عضواً

د. فارس فندي بطاينة.....عضواً

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بسم الله الرحمن الرحيم

"إني رأيت أنَّه لا يكتب إنسان كتاباً في يومه إلاّ قال في غَدِه: لو غُيِّرَ هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يستحسن، ولو قُدِّمَ هذا لكان أفضل، ولو تُرِك هذا لكان أجمل، وهذا من أعظم العِبَر، وهو دليلٌ على استيلاء النقص على جملة البشر".

العماد الأصفهاني
معجم الأدباء ياقوت الحموي

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الإهداء

إلى (أبي وأمي) اللذَيْن علماني الحبَّ،

إلى اللذَيْن تجرَّعا المرَّ لأجلي،

إليهما ولطالما سمعتُ أَنَّاتهما تحت سياط الزمن،

أهدي هذا العمل

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ص ٥ - ١٢٣

المحتويات

المقدمة ١

الفصل الأول: (الدراسة النظرية) ٥

الحذف في الدرس البلاغي

- **المبحث الأول:** الحذف في الدرس البلاغي المتقدم ٦
- **المبحث الثاني:** الحذف في الدرس البلاغي المحدث ٣٣

الفصل الثاني: (الدراسة التطبيقية) ٥١

بلاغة الحذف في سورة البقرة

المبحث الأول: حذف الاسم وتفسيره عند النحويين والبلاغيين ٥٢

- حذف المبتدأ ٥٣
- حذف الخبر ٦٤
- حذف المفعول به ٦٩
- حذف التمييز ٧٤
- حذف الحال ٧٥
- حذف المضاف إليه ٧٧
- حذف المضاف ٧٩
- حذف المعطوف ٨٣
- حذف الموصوف ٨٤

المبحث الثاني: حذف الفعل وتفسيره عند النحويين والبلاغيين ٨٧

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثالث: حذف الجمل وتفسيره عند النحويين والبلاغيين.....١٠٣
- حذف جملة الشرط.....١٠٤
- حذف جملة جواب الشرط.....١٠٩
- حذف جملة القسم.....١١٤
- حذف جملة أو أكثر.....١١٧

المبحث الرابع:.....١٢٢
حذف الحروف (حروف المعاني) وتفسيره عند النحويين والبلاغيين
- حذف حرف الجر.....١٢٣
- متفرقات.....١٣١

الملحق.....١٣٤

الخاتمة.....١٤١

المصادر والمراجع.....١٤٤

الملخص باللغة الإنجليزية.....١٥١

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المقدمة:ـ

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً، فاستقرت هدايته في قلوب العارفين، واستنارت بنوره عقول الراشدين. والصلاة والسلام على سيد المرسلين. وبعد،

فإنَّ كتاب الله سبحانه أهم الكتب التي يجب الوقوف عليها بالنظر والتمعن والتدبر، لتتعدد ميادين البحث في معانيه، فتظهر إعجازه وخوارقه. لذا كانت دراستي في لغة القرآن الكريم إظهاراً لخصائصه التعبيرية حتى تستبين عبقرية اللغة العربية من جهة، ولنقف على أسرار التعبير القرآني من جهة ثانية.

فكانت دراستي للحذف أسلوباً من أساليب العرب، احتفى به القرآن العظيم تمشياً مع نهج أصحاب العربية في الفصاحة والبيان، مبيناً مدى عجزهم عندما تحداهم الله سبحانه بقوله: ﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ (الإسراء ٨٨).

وهو أسلوب يجمع النحو بالدلالة، لأنهما يتناولان الجملة، فالأول تركيبي يتعلق بالجملة وعلاقتها بالجمل الأخرى، أما الآخر فهو يتخطى الجملة ليصل إلى المعنى، وهذا التقارب نتيجة حتمية لنشوء علم المعاني في أحضان النحو. ولا يمكن أنْ يتشكل المعنى العميق لأي نص لا سيما القرآني إلاّ بالاتكاء على الوظائف النحوية التي توصل إلى المعاني، من هنا جاء اختيار أسلوب الحذف، لأنَّ المعاني الحقيقية لا تبدأ من السطح وإنما من الباطن.

وحين حاولنا اختيار نص قرآني محدد، وقع الاختيار على سورة البقرة مجالاً لتلك الدراسة، لأنها أكبر سور القرآن الكريم. وبذلك تتيح الحصول على عدة قضايا حذفية في آياتها الكريمة، ولأنها شغلت حيزاً كبيراً من كتب المفسرين والمعربين؛ لذلك فإنها تعطينا الفرصة للاتصال بالنصوص القديمة. وقد جاء هذا الاختيار رغبة في تحديد الموضوع وتضييقه حتى لا تتكرر شواهد الدارسين في لغة القرآن الكريم.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتأتي هذه الدراسة لأسلوب الحذف لتكون حلقة في سلسلة متصلة من البحث في لغة القرآن الكريم من خلال سورة البقرة.

أما البحث فقد وقع في فصلين، أحدهما: نظري، والآخر عملي (تطبيقي)، حتى تكتمل صورة البحث في نظرنا، فكلاهما مطلب أساسي، فالتنظير -كما يقولون - ضروري لتحقق الأساس العلمي، حيث تستكمل الأسس والمعايير الفنية للجوانب النظرية في ضوء سياقاتها التراثية والمعاصرة، لتتشكل الأصول التي تسمح بمعالجة النصوص، أما الجانب الثاني (التطبيقي) فهو يعين المتلقي على إدراك الرؤية الداخلية لنظام النص وجلاء قوته التعبيرية، وهو التربة الخصبة التي تضمن لهذا البحث النظري نماءه وحيويته وفاعليته.

وبذلك يمكن أن تحقق هذه المحاولة شيئاً من التكامل بين جانبيها، النظري والتطبيقي، علها تفتح المجال لمحاولات أخرى تغني هذا التوجه الذي يصل النحو بالبلاغة.

أمّا مدخلات هذين الجانبين فهي تمثل فصلين، الأول هو: الحذف في الدرس البلاغي، وقد تمثل في قسمين، الأول منهما بعنوان: الحذف في الدرس البلاغي المتقدم، فقد عرضت فيه نظرة علماء البلاغة المتقدمين لأسلوب البحث، فأظهرت نظرتهم إليه، وبينت طريقتهم في معالجة المواضع التي أتى فيها الحذف، وأشرت إلى تدخلاتهم اليسيرة في أثر الحذف وإلى إشاراتهم النفسية عنه كما هي عند الرماني مثلاً، وبذلك وصفت الحالة التي عاشها أولئك مع الحذف، والطريقة التي عالجوا الحذف على أساسها.

ثم جاء القسم الآخر، وهو الحذف في الدرس البلاغي المحدث، الذي يمثل نظرات علماء البلاغة الذين عاشوا في هذا العصر، ومدى اتصالهم بالمعية الماضي وتطور الحاضر عند معاينتهم للنصوص التي وقع فيها هذا الأسلوب، لنرى بأن التطور العلمي الذي يعاش أثّر فيهم في تحليلات بعض النصوص والمواطن، كالتحليلات

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النفسية مثلاً، لكنهم لم يندفعوا إلى وضع الحذف في دائرة بلاغية خاصة، ليكون خندقهم –من وجهة دلالية– عند معالجة أي نص بهذا الخصوص.

وفيما يتعلق بالفصل الآخر من البحث، فقد كان الأرضية التي عالجت الموضوع، والمكان الذي جال فيه معنى الفصل الأول، اتخذ من سورة البقرة مجالاً للتطبيق حتى تتم المعادلة، فكان بعنوان: بلاغة الحذف في سورة البقرة، إذ لا تكون الأشياء مختمرة بمبناها ومعناها في مجال واحد (نظري)، بل تحتاج إلى أرضية تقع عليها أحداث هذا المجال. وفي هذا الفصل بينا مواطن الحذف في سورة البقرة، فانقسمت إلى أربعة محاور:

الأول منها، خاص بحذف الاسم وتفسيره عند النحويين والبلاغيين، وفيه عُولجت المفردات المحذوفة في السورة كحذف المبتدأ والخبر وغيرهما، فبينا فيه نظرة النحاة إلى هذا النوع، ثم الدلالات التي قدرها البلاغيون له، ثم جال تفكيرنا في تحليل بعض آيات الله سبحانه، لإظهار أثر الحذف في المعنى في النسق اللغوي القرآني، فكانت الإشارة إلى دلالة هذا الأثر.

الثاني: حذف الفعل وتفسيره عند النحويين والبلاغيين، فكان مداره خاصاً بالفعل متجرداً عن متعلقاته، لنبرز اتجاهات النحاة فيه، ولنوضح دواعي البلاغيين إلى معالجة حذفه، ليتم الإيجاز في معنى الحذف عند تحليل شواهد من السورة.

أما المحور الثالث، فقد تمثل في حذف الجمل وتفسيره عند النحويين والبلاغيين، وهو محور اقتصر على أربعة أنماط، هي: حذف جملة القسم، وحذف جملة جواب القسم، وحذف جملة جواب الشرط، وحذف جملة أو أكثر، مترسمين الطريقة نفسها التي عُولج فيها المحوران السابقان.

ثم كان الانتقال إلى المحور الرابع الذي وُسِمَ بحذف الحرف وتفسيره عند النحويين والبلاغيين، وهو محور لا يمكن الوصول إلى قوته بسهوله، لذا كانت

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

معالجات السابقين له مقتصرة على ذكر المواضع فقط، دون الخوض في أعماقه للوصول إلى دلالته، وقد حاول الباحث ذلك.

لقد اتخذت صورة الفصل الأخير طريقة ثابتة في طرح الموضوع ومعاينة النصوص، تمثلت بطريقة وصفية عند الحديث عنه نحوياً، ثم إبراز الدواعي التي يحذف لأجلها المحور كما يراه علماء البلاغة، وبعدها الدخول في تحليل بعض مواضع الحذف في السورة، لإظهار القدرة التعبيرية الإعجازية.

ولا أدعي –في هذا المجال – أني قد بلغتُ الكمال. فالكمال لله وحده، وحسبي أني عشت مع آيات الله سبحانه، أتملى رائع بيانه وباهر إعجازه.

كلُّ ذلك يأتي بفضل من الله ثم من أستاذي الدكتور سلمان القضاة، الذي تعهد البحث بالعناية والرعاية منذ البداية. فله على البحث وصاحبه فضل غير محدود. فجزاه الله خير ما يجازى به العبد يوم لقاء ربه.

والشكر –أيضاً– موصول لأستاذيَّ، اللذَيْن تتلمذتُ على أيديهما في المرحلة الجامعية الأولى، فكانا نعم الشيخان، أستاذي الدكتور: علي الحمد، واستاذي الدكتور فارس بطاينة، اللذَان وافقا على مناقشة هذا البحث، ليقوّما ما اعوج منه، ويؤكدا ما استقام، فجزاهما الله تعالى الخير كلّه.

واللهَ أسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه، وما توكلي واعتمادي إلاّ على الله. هو نعم المولى ونعم النصير.

الباحث

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الأول :

"الدراسة النظرية":

الحذف في الدرس البلاغي

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول:

الحذف في الدرس البلاغي المتقدم

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

درجت البلاغة والفصاحة على ألسنة العرب فكان باستطاعتهم فهم الشعر وتذوقه، لأنهم بلغاء بالفطرة. لذا عندما أنزل الله تعالى القرآن الكريم، ضمّن البلاغة في متنه. ثمّ بدأت تتشكل النواة الكتابية للبلاغة العربيَّة مع تشكل النَّحو العربي آنذاك، منذ زمن سيبويه(*) عندما ألف كتابه في النَّحو (الكتاب)، فأشار خلاله إلى أساليب بلاغية عربية كان منها أسلوب الحذف. ثمّ أخذت الكتابة العربيَّة تنظر إلى هذا الأسلوب البلاغي، بما فيه من آثار وقضايا دلالية تعكس قيمَتَهُ الجمالية.

وقد نال الحذف اهتمام المتقدمين من العلماء العرب؛ لأنّه ورد في أغلب آيات القرآن الكريم. وهو يصيب اللُّغة في أصواتها وتراكيبها للوصول إلى دلالة بعينها. وأشار إليه سيبويه في مواضع مختلفة من كتابه، لذلك فهو ظاهرة أصيلة في العربيَّة من حيث الوجود والدراسة، وهو يصيب الجملة الأسمية والفعلية، بالإضافة إلى الكلمة والأبنية الصّرفيَّة(١).

ففي وجود هذه الظاهرة لدى العرب قديماً يقول سيبويه: "واعلم أنهم مما يحذفون الكلم، وإن كان أصله في الكلام غير ذلك، ويحذفون ويعوضون، ويستغنون بالشيء عن الشيء الذي أصله في كلامه أن يستعمل حتى يصير ساقطاً"(٢).

ويقول في موضع آخر: "وما حذف في الكلام لكثرة استعمالهم كثير، ومن ذلك: هل من طعام؟ أي: هل من طعام في زمان أو مكان"(٣).

فالحذف، إذاً، موجود في كلام العرب، ولا يمكن وجود شيء دون دافع أو دون وعي بوجوده، وكان هذا الوعي يعرف بإشارات ودلائل، وقد نبه سيبويه(٤) على ذلك، بأن لا يكون الحذف مطلقاً حيث أردنا الحذف، وإنما يكون إذا علم المخاطب به أو أشير إلى وجود حذف في الكلام لديه، فيكون المتلقي عالماً بالكلام المحذوف.

(*) هو أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر (١٤٨-١٨٠هـ).

(١) علم الجمال اللغوي (المعاني والبيان والبديع): محمود ياقوت ٣٠٧/١.

(٢) كتاب سيبويه، ٢٤/١.

(٣) السابق، ١٣٠/٢.

(٤) انظر كتاب سيبويه، ٣٤٦/٢، ١٠٣/٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويتعرض سيبويه للحذف مشيراً إلى ألوانه من حذف للاسم سواء كان مضافاً أو مضافاً إليه أو مبتدأ أو غير ذلك، ومن حذف للفعل، مراعياً في ذلك وجود قرينة نلمحها في وعي المخاطب، وملاحظته فصاحة الكلام بوجود الحذف، وخلو فصاحته إذا كان الكلام تاماً من غير حذف، وكل ما ذكره سيبويه عن الحذف عده البلاغيون – فيما بعد– مشتملاً على ألوان الفصاحة والبيان[1].

هذه الفكرة التي ولدت في كتاب سيبويه عن الحذف أخذت تنمو من جيل إلى آخر. فالحذف وهو ظاهرة أسلوبية يعدُّ من المجاز عند أبي عبيدة[2]، ومن مجاز الحذف في قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ﴾ (يوسف ٨٢)، قال: "فهذا محذوف فيه مضمر مجازه: وسل أهل القرية، ومَنْ في العير، ومن مجاز ما كف عن خبره استغناء عنه وفيه مضمر قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ (الزمر ٧٣)، ثمّ كف عن خبره"[3].

ومما يؤكد مجاز الحذف تعليقه على قوله تعالى: ﴿وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾ (البقرة ٩٣) إذ يقول: "سقوه حتى غلب عليهم مجازه، مجاز الاختصار؛ وأشربوا في قلوبهم العجل، حب العجل"[4].

---

(١) المختصر في تاريخ البلاغة: عبدالقادر حسين، ص٥٦.

(٢) هو أبو عبيدة معمر بن المثنى اللغوي البصري، ولد سنة ١١٢هـ وتوفي عام ٢٠٩هـ، مولى بني تَيْم، تيم قريش، أخذ عن يونس وأبي عمرو. وهو أول مَن صنف غريب الحديث، أقدمه الرشيد من البصرة إلى بغداد وقرأ عليه، وكان شعوبياً، صنف: المجاز في غريب القرآن (مجاز القرآن)، والأمثال في غريب الحديث وأيام العرب، ومعاني القرآن وغير ذلك. (بغية الوعاة ٢٩٤/٢).

(٣) مجاز القرآن ٨/١-٩.

(٤) السابق، ٤٧/١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكان الفقه بالعربيَّة وأساليبها واستعمالها والنفاذ إلى خصائصها هو عمدةَ أبي عبيدة في تفسير القرآن الكريم؛ لأنّه جارٍ على سنن العرب في أحاديثهم ومحاوراتهم(١).

ويتوقف الفرّاء(*) (ت٢٠٧هـ) شأن معاصره أبي عبيدة، أمام مجاز الحذف في آيات كثيرة، وهو يسلك مسلكه في الحرص على تعيين المحذوف وتحديده ففي قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ (البقرة ٦٠) يقول " معناه – والله أعلم – فضرب فانفجرت، فعرف بقوله (فانفجرت) أنه قد ضرب فاكتفى بالجواب، لأنّه قد أدى عن المعنى"(٢).

يقول نصر أبو زيد تعليقاً على آراء الفرَّاء وأبي عبيدة "ومن الطبيعي أن لا يلتفت الفرّاء وأبو عبيدة للوظيفة الأسلوبية لما سموه (الحذف) خصوصاً في فعل القول، تلك الوظيفة التي تنبع من الرغبة في التمثيل أكثر من مجرد القص أو الإخبار بأحداث القصة، وذلك لأنّهما كانا مشغولين بتوضيح النص القرآني وشرحه وجعله مفهوماً"(٣).

ويعلل أبو زيد سبب ابتعاد العالمين عن الوظيفة الأسلوبية والقيمة الدلالية للحذف، في أنّهما اشتغلا بشرح النصوص، ولم يتعمقا في أساليب العربيَّة التي تعطي معنى أعمق، وهو تعليل معتمد على تفسير النصوص منتهياً إلى تعيين المحذوف وتحديده، أي: أنهما لم يتعمقا في هذه الظاهرة الأسلوبية ولم يتوصلا إلى البحث في دلالاتها، وما يمكن أن تعطيه التراكيب المحذوفة للنص من قوة للمعنى، لأنّهما اكتفيا بالتحديد والتعيين كطريقة للمعالجة. بمعنى أنّ التفسير هو الذي جذبهما دون التركيز على الوظيفة الأسلوبية للحذف.

---

(١) انظر، مقدمة مجاز القرآن، ص٩.

(*) هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفرّاء توفى سنة (٢٠٧هـ)، صاحب: معاني القرآن. وكان قد ولد عام (١٤٤هـ)، لقب بالفرّاء – وهو من يخيط الفراء أو يبيعها – لأنّه كان يفري الكلام، أي يحسن تقطيعه وتفصيله. (بغية الوعاة ٣٣٣/٢).

(٢) معاني القرآن: الفرّاء ٤٠/١.

(٣) الاتجاه العقلي في التفكير ص ١٠٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

غير أنا نرى ابتعادها عن الوظيفة الأسلوبية للحذف يكمن في أنهما كانا من أوائل العلماء الذين تعرضوا لهذا الأسلوب البلاغي: فكانت ملاحظاتهما عنه مجرد إشارات لمواطن الحذف، وهي إشارات أوّلية عنه.

ويشترط الفراء وضوح المعنى حتى يحدث الحذف، وإلاّ عده غير جائز، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ (المائدة ٢٧) ولم يقل: قال الذي لم يتقبل منه لأقتلنك، ومثله في الكلام أن تقول: إذا اجتمع السفيه والحليم حُمِدَ، تنوي بالحمد الحليم، ولو قلت مرّ بي رجل وامرأة فأعنتُ، وأنت تريد أحدهما لم يجز حتى يبيّن لأنهما ليس فيهما علامة تستدل بها على موضوع المعونة إلاّ أن تريد: فأعنتهما جميعاً[1].

وبهذه الإشارات كان الحذف من أساليب العربيَّة التي استخدمها المفسرون في تفسير القرآن الكريم، ولم يكن المفسرون وعلماء اللُّغة وحدهم الذين تعرضوا للحذف بل استخدمه الأدباء كذلك، فقد أورد الجاحظ لنا في البيان والتبيين باباً جعله بعنوان (باب من الكلام المحذوف) لَحَظَ من خلاله هذا النمط من الكلام، وإن لم يذكره باعتباره لوناً من ألوان الإيجاز، إلاّ أنه لفت به أنظار البلاغيين، وكانت مختاراته النثرية كبيرة لهذا الأسلوب البلاغي، بدأها بقول المهاجرين: يا رسول الله إنَّ الأنصار قد فضلونا بأنهم آووا ونصروا، وفعلوا وفعلوا...قال النبي عليه السلام: أتعرفون ذلك لهم؟ قالوا: نعم، قال فإن ذاك.

وعقّب الجاحظ: وليس في الحديث غير هذا، يريد إنَّ ذاك شكر ومكافأة، ثمّ قال: وعلم رجل من قيس عمر بن عبد العزيز في حاجة، وجعل يمت بقرابة، فقال عمر: فإن ذاك، ثمّ ذكر حاجته، فقال: (لعل ذاك) ولم يزده على أن قال: (فإنَّ ذاك ولعلَّ ذاك) أي: إن ذاك كما قلت، ولعل حاجتك تقضى[2].

---

(١) معاني القرآن، ٣٠٥/١.

(٢) انظر البيان والتبين ٣٦٧/٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

واستطاع الجاحظ – من خلال النصوص النثرية التي ساقها– أن يدلل على أن الحذف موجود في العربيَّة وأساليبها، وظاهر في أدب العرب الغزير من جهة، وأن يدفع الدراسين إلى حتمية التفكير بهذا الأسلوب البلاغي للوصول إلى أبعاده الحقيقية، ودلالاته الخفية من جهة أخرى.

وتستمر الكتابة عن الحذف شيئاً فشيئاً، من حذف واقع على المفردات واقع على الجمل، فمن حذف المفردات مثلاً، أن تحذف المضاف وتقيم المضاف إليه مقامه، كقوله تعالى: ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ (البقرة ١٩٧). أي وقت الحج. وعلى هذا النمط استشهد ابن قتيبة(*) بآيات قرآنية حذف فيها المضاف، وآيات حذف فيها الفعل، ومنها عندما يقع على شيئين، ومن حذف الجمل قوله "ومن ذلك: أن يأتي بالكلام مبيناً على أن له جواباً، فيحذف الجواب اختصاراً لعلم المخاطب به"(١).

ومثل على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (النور ٢٠) أراد لعذبكم فحذف. ومن حذفه كذلك ما يُحذف فيه كلمةٌ أو كلتان، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ﴾ (آل عمران ١٠٦) والمعنى: فيقال لهم أكفرتم؟

فابن قتيبة فيما تحدث عنه من حذف، لم يتعرض لجمال التعبير القائم عليه، وإنما اكتفى بالإشارة إلى مواطن قرآنية وقع الحذف فيها؛ ليؤكد أن القرآن الكريم جاء على طريقة العرب في التعبير(٢)، دون أن يقدم شيئاً مختلفاً عن سابقيه في معرض تفسيرهم للنص القرآني، أو تحديدهم للحذف الواقع في النصوص.

(*) هو عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري النحوي اللغوي (٢١٣-٢٦٧هـ)، كان رأساً في العربية واللغة والأخبار وأيام الناس، ثقة ديّناً فاضلاً، صنف: إعراب القرآن، معاني القرآن، الأنوار، مشكل القرآن وغير ذلك. (بغية الوعاة ٦٣/٢).

(١) تأويل مشكل القرآن ، ص ١٦٥.

(٢) انظر: رؤية جديدة للإيجاز والإطناب: عبد الغني بركة ص ٣٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتبقى شذرات الحذف قائمة دون البحث المتعمق فيه. وعنه يقول قدامه[1] بن جعفر "أما الحذف فإنَّ العرب تستعمله للإيجاز والاكتفاء بيسير القول إذا كان المخاطب عالماً بمرادها فيه، وذلك كقوله عز وجل: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (يس ٤٥) وسكت عن تمام الكلام لعلم المخاطب به، فكأنَّ تقدير ذلك: وإذا قيل لهم اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم استكبروا وتمادوا وعتوا"[2].

ثمّ يذكر شواهد أخرى من الشعر يعقب عليها بقوله:" هذا كثير في كلام العرب وإذا مرَّ بك عرفته إن شاء الله"[3]. وهكذا لا نرى جديداً عند قدامة، وإنّما هي شذرات يسيرة مما سُبِقَ به من دراسات حول الموضوع.

وإيجاز الحذف عند الرماني(*) "إسقاط كلمة للاحتراز عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام"[4]. وجاء بآيات وقع فيها الحذف دون أن يعلّق عليها، كقوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنِ اتَّقَى﴾ (البقرة ١٨٩) و ﴿بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ﴾ (التوبة ١) و ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ﴾ (محمد ٢١).

وهو بذلك لا يُعنى بتحديد المحذوف وتعيينه إذا كان المحذوف مدلولاً عليه بغيره، بل تجده في الحذف الواقع على الأجوبة أبلغ كلاماً، لأنّه يشير إلى أثره النفسي، حين يقول في الحذف الواقع على الأجوبة : " وهو أبلغ من الذكر، وما جاء في القرآن

---

(١) هو أبو الفرج قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي، المضروب فيه المثل في البلاغة، كان أحد البلغاء الفصحاء والفلاسفة، وكان نصرانياً أسلم على يد الخليفة المكتفى بالله العباسي، توفي سنة (٣٢٨هـ)، صنف الخراج وصنعة الكتاب، ونقد الشعر ونقد النثر وغير ذلك. (نقد النثر، ص٢٣ وما بعدها).

(٢) نقد النثر ص ٦٩.

(٣) السابق ص ٦٩.

(*) هو أبو الحسن علي بن عيسى بن عبدالله الرماني (٢٧٦-٣٨٤هـ) كان يعرف بالإخشيدي وبالوراق، وكان إماماً بالعربية، علاّمة في الأدب في طبقة الفارسي والسيرافي، معتزلياً، أخذ عن الزجاج وابن السراج وابن دريد، صنف: التفسير وشرح سيبويه ومعاني الحروف وغيرها. (بغية الوعاة ٢/١٨٠).

(٤) رسالة الرماني ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم، ص ٧٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كثير كقوله جلَّ ثناؤه: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ (الرعد ٣١)" [١]. ولم يعلق على هذه الآية إلاّ بقوله: كأنّه قيل لكان هذا القرآن، ولكن الإشارة الأجمل للأثر النفسي بقوله فيما بعد :"وإنّما صار الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر لأنَّ النفس تذهب فيه كل مذهب، ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان"[٢].

واستطاع الرماني بذلك أن يشير إلى الأثر النفسي للحذف وهو الذي يثير البعد الجمالي والغاية الدلالية له، فكان أوّل من تحدث عن هذا الأثر. ويعدُّ من أوائل العلماء الذين تعرضوا لهذا الأسلوب بالإشارة إلى أثره النفسي عند المتلقي، وبذلك يكون الرماني قد تدخل في عمق الموضوع وفي أثره.

وجاء الخطابي[*] بعد ذلك ليتحدث عن الحذف في رسالته، فيقول :"وحذف ما يستغنى عنه من الكلام نوع من أنواع البلاغة، وإنما جاز حذف الجواب وحسن، لأن المذكور فيه يدل على المحذوف والمسكوت عنه من الجواب، ولأن المعقول من الخطاب عند أهل الفهم كالمنطوق به"[٣].

وهو يقرر ما جاء به الرماني من أنَّ الحذف تذهب به النفس كل مذهب، وأنَّه أبلغ من الذكر، ويستشهد على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا

---

(١) رسالة الرماني ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم: الرماني والخطابي والجرجاني ص ٧٦.

(٢) السابق، ص ٧٧.

(*) هو أبو سليمان الخطابي حمد بن حمد بن الخطاب، (٣١٩-٣٨٨هـ) قال عنه السمعاني: كان حُجَّه صدوقاً، رحل إلى العراق والحجاز، وخرج إلى ما وراء النهر، أخذ الأدب عن إسماعيل الصفار، وله من التصانيف: غريب الحديث، وشرح البخاري وغير ذلك. (بغية الوعاة ١/٥٤٧)

(٣) رسالة الخطابي ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم، ص ٥٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

خَالِدِينَ﴾ (الزمر ٧٣). والمعنى كأنه قيل: لما دخلوها حصلوا على النعيم المقيم الذي لا انقطاع له ولا تكدير فيه.(١)

وما جاء به الرماني وافقه عليه فيما بعد الجرجاني من أنّ الأثر النفسي للحذف يذهبُ بالمتلقي لأن يحدد ما لا يستطيع تحديده الكلام المذكور، وبالتالي يتغلغل الحذف في النفس ليشد الدلالة الإيحائية النفسية للمحذوف بصورة أقوى من ذكرها.

وقد بين ابن جني(٢) الحذف في خصائصه تحت باب أسماه باب في شجاعة العربية أوضح فيه أقسامه كلها، من حذف للاسم وللفعل وللحرف، وقد فصل القول في حذف الاسم، من حذف للمبتدأ والخبر والصفة وغير ذلك وقد أشار أحياناً إلى دواعي حذف الألفاظ في معرض كلامه عن حذف الاسم، إلاّ أنه كان مقتصراً في حديثه من الفعل والحرف على الاشارة إلى مجيئهما محذوفين، وقد أوجز كثيراً، وهو السبب الذي لا يجعل في كلامه عنهما إفادة عميقة، أو قوة مغايرة عن سابقيه.

وعندما ننظر إلى الأوائل ممن كان لهم معالم واضحة على البلاغة العربيَّة لا نجد لبعضهم في هذا الموضوع أثراً، فالعسكري(*) مثلاً لا نجد له في الصناعتين جديداً، بل نجده معتمداً على كتاب تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ويكاد يكون تطابق بين الكتابين(٣) فقد اكتفى بإشارات ابن قتيبة وشواهده على حذف المضاف والفعل وحذف الأجوبة مع أن شواهده مشتملة على آيات قرآنية، وأبيات شعرية، وأقوال نثرية.

ودوَّن الأوائل على هذا الغرار ما استطاعوا أن يتوصلوا إليه من أمثلة وشواهد اعتنت بالحذف، برغم أنَّ هذا المصطلح البلاغي لم يكن واضح المعالم بصورة كبيرة، وإنما كانت مجرد ملاحظات أوليّة، يدركها العرب بذوقهم وسليقتهم، لذا لم تأتِ دراسة الحذف عندهم فاحصة ومبينة ولا معللة للأثر الذي جاء به الحذف.

ولم يكن باستطاعة الأوائل الولوج إلى الدلالات التي يعطيها الحذف وتوضيحها، فبقيت غامضة عنهم بعيدة عن متناول أيديهم، حتى جاء الجرجاني(**) وهو مَن صرَّع

---

(١) انظر السابق، ص ٥٢.

(٢) انظر، الخصائص، ٣٦٠/٢ وما بعدها.

(*) هو أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل العسكري، المتوفي سنة ٣٩٥ هـ.

(٣) انظر رؤية جديدة للإيجاز والإطناب: عبد الغني بركة، ص ٦١.

(**) هو عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني النحوي (ت ٤٧١ أو ٤٧٤هـ) صاحب دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الباب على الحذف، فأخذ يبينه ويبرزه ويوضح معالمه ودلالاته، فلم يكن ناقداً محدود الأفق ينظر في اللفظة والعبارة وسلامتها فقط، بل كان يتجاوز هذه الحدود الضيقة التي رُسِمت من قبل ليصل إلى الدلالة البعيدة، فكانت دراسته بحق عميقة أعطت لدرس الحذف بعداً أبعد وخطاً أجود.

وسنقف جراء ذلك وقفة مبينة لِمَا جاء به الشيخ الكبير عن الحذف، وقفه تليق بالغزارة العلمية التي جاء بها وعسى أنْ تكون:

لا يشغل الجرجاني نفسه كثيراً بما شغل به البلاغيون، من عرض واستقصاء وحصر وذكر للشواهد، وإنما يذهب إلى أبعد من ذلك، يذهب إلى الجانب الذي لم يُطرق (الجانب التحليلي)، وهو ما يجب أن يشغل به البلاغي نفسه من بيان القيمة البلاغية للحذف، واستخلاص المعايير العامة، من خلال التحليل الفني للنصوص والأمثلة، حتى غدا بذلك أنموذجاً رائعاً في دراسة الحذف وتحليله. بل لا نغالي إذا قلنا إنَّ نظرته إلى الحذف كانت نظرة بلاغية جديدة.(١)

وفي أثناء حديثه عن الحذف -الذي أصبح مثالاً لدى الآخرين - لا يهتم باستقصاء كل مواضع الحذف، وإنما يكتفي بنوعين منه، هما: حذف المبتدأ وحذف المفعول به، وقد ركز فيهما على أغراض الحذف ودواعيه من خلال تحليله الواعي لأبعاد هذا الأسلوب.

وقبل أن يبدأ الجرجاني بتحليل نماذج في الحذف تراه يقول عنه :"هو باب دقيق المسلك لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق وأتم ما تكون بياناً إذا لم تبن"(٢).

وهو بذلك يحاول أن يوصل فكرة خيالية ممزوجة بلمسات نفسية عن الحذف، ليجذب القارىء، ويدفع الدارس إلى النظر فيه، والوقوف عليه وقفة متأنية محلله؛ ليرى فيه هذا القول الجميل.

---

(١) انظر البلاغة العربيّة، تاريخها، مصادرها، مناهجها: علي عشري زايد ص ١٠٧.

(٢) دلائل الإعجاز ص ٤٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثمّ يبدأ الجرجاني بتحليل نماذج من حذف المبتدأ مكتفياً بذكر موضع واحد عام يطّرد فيه حذف المبتدأ، وهو ما يسميه القطع والاستئناف. ويقدم نماذج يبين فيها تحليله لهذا النوع، ومنها:(١)

اعتَادَ قَلْبَكَ مِنْ لَيْلَى عَوَائِدُهُ ... وهَاجَ أَهْوَاءَكَ المَكْنُونَةَ الطلَلُ

رَبْعٌ قَوَاءٌ أَذاعَ المعصِرَاتُ بِهِ ... وكُلُّ حَيْرَانَ سَارٍ مَاؤُهُ خَضِلُ

قال: أراد ذلك ربع قواء أو هو ربع قواء، فحذف المبتدأ وهو (ذاك أو هو) وكان (ربعٌ) خبر المبتدأ المحذوف، ثمّ يذكر الجرجاني شواهد أخرى منها قول عمر بن أبي ربيعة(٢):

هَلْ تَعْرِفُ اليَوْمَ رَسْمَ الدَّارِ والطَّلَلاَ ... كَمَا عَرَفْتَ بِجَفْنِ الصَّيْقَلِ الخِلَلاَ

دارٌ لِمَرْوَةَ إِذْ أَهْلِي وأَهْلُهُمُ ... بِالكَانِسِيَّةِ، نَرْعَى اللَّهْوَ وَالغَزَلاَ

كأنه قال: تلك دار، فكان المبتدأ محذوفاً تقديره مثلاً (تلك) و(دارٌ) خبره. واستشهد بأبيات أخرى، قال في نهاية الأبيات كلها:"فتأمل الآن هذه الأبيات كلها، واستقرها واحداً واحداً، وانظر إلى موقعها في نفسك، وإلى ما تجده من اللطف والظرف إذا أنت مررت بموضع الحذف منها، ثمّ فَلَيْتَ(٣) النفس عما تجد، وألطفت النظر فيما تحس به، ثمّ تكلف أن ترد ما حذف الشاعر وأن تخرجه إلى لفظك وتوقعه في سمعك، فإنك تعلم أن الذي قلت كما قلت، وأنّه ربَّ حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد "(٤).

فمنهج الجرجاني هو بيان القيمة الفنية للحذف الذي يدعوه إليه الذوق البلاغي، فهو يحاول أن يَطْرُدَ المحذوف من خياله، ثمّ يذكره متأملاً الفرق بين الحالتين، وبذلك يستطيع بنفسه أن يصل إلى تذوق هذا الأسلوب، وإلى بلاغة الكلام والانفعال به(٥).

---

(١) انظر دلائل الإعجاز ص ١٤٦، وكتاب سيبويه ٢٨١/١، والقواء: المكان المقفر، وأذاع المعصرات به: هي الرياح العاصفات، حيران، السحاب المتردد، سارٍ: يسير ليلاً، ماؤه خضل: يحمل ماء غزيراً.

(٢) ديوان عمر بن أبي ربيعة، شرح وتقديم: علي مهنا عبداً، ص ٣٢١، وانظر كتاب سيبويه ٢٨٢/١، وانظر دلائل الإعجاز ص ١٤٦. الصيقل: الذي يصقل السيوق ويجلوها، و(الخلل): جمع (خِلّة) وهي جفن السيف المنقوش بالذهب الكانسيه: اسم موضع.

(٣) فَلَيْتَ: في رواية أخرى (قلبْتَ) وهي بتعليق محمد رشيد رضا على الدلائل ص ١١٦.

(٤) دلائل الإعجاز، ص ١٥١.

(٥) انظر: خصائص التراكيب: محمد أبو موسى، ص ١٢٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويتضح أن الجرجاني بحسه المرهف كان يتذوق حلاوة الحذف في الشواهد، ولا يعدو حديثه عما يجد من حلاوة وصف له، بل يدعوك أنْ تحسَّ الذي حسَّه، لأنَّك لا تدرك قيمة ما يجده بالوصف، وإنَّما بالذوق. ثمّ يرشد إلى كيفية تعيين أثر ذلك المحذوف بذكره، ثمّ تحاول أن تتعرف على ما تجده في نفسك من ذكره. ففي ضوء هذه الموازنة تستطيع أن تعرف قيمة الحذف.

ويقرر الجرجاني – بما أنَّ السياق هنا سياق إدراك بلاغي – أنَّه لا مفر لك إذا أردت التعبير القوي من أن تتحاشى هذا المحذوف ليس من البعد الخارجي للنص وإنَّما في الإدراك النفسي له، لأنَّ العبارة وجمال الأسلوب يطلب منك ذلك النسيان ولا يفترض بك أن ترضخ لأمر الإعراب، لأنَّه سياق مغاير لسياق الذوق البلاغي. فالأول يدعوك إلى ذكر المحذوف، والآخر إلى تحاشيه، وحتى تصل إلى الغاية من الحذف، والأثر الدلالي له عليك الرضوخ لنداء الجرجاني (نداء الذوق البلاغي في التحاشي)[1] .

وينتقل عبد القاهر الجرجاني إلى الحديث عن بلاغة حذف المفعول، والوظيفة التعبيرية لهذا الحذف، فيرى أن حذف المفعول به تكثر مزاياه، وتبان أسراره وكأن لطائفه أكثر، وما يظهر بسببه من الرونق أعجب وأظهر، ثمّ يضع أصلاً يجب أن يأخذ به البلاغي المتذوق عند دراسته لهذا الموضوع. وهو أن حال الفعل مع المفعول الذي يتعدى إليه حاله مع الفاعل، كقولنا: (ضُرب زيد) فكان غرضك أن تثبت وقع الضرب، وكذلك في قولك: (ضَرب زيدٌ عمراً) فكان الغرض هو وقوع الضرب من الأول على الثاني لإثبات الضرب في نفسه، لذلك عمل الفعل الرفع في الأول لدلالة الفاعلية، والنصب في الثاني لدلالة المفعولية، عندئذٍ كانت أغراض الناس تختلف في ذكر الأفعال المتعدية فهم يذكرونها تارة ومرادهم أن يقتصروا على إثبات المعاني التي اشتقت منها للفاعلين، ومن ذلك قولهم: (فلان يحل ويعقد، ويأمر وينهى، ويضر وينفع)، وعليه قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ (غافر ٦٨) أي: منه الإحياء والإماتة، والفعل لا يعدى هناك لأنَّ تعديته تنقض الغرض وتغير المعنى.[2]

---

(١) انظر: خصائص التراكيب: محمد أبو موسى، ص ١٢٩.

(٢) انظر: دلائل الإعجاز ص ١٥٣-١٥٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فالحذف الواقع على المفعول به عند الجرجاني يأتي لإثبات حدث الفعل، دون الوصول إلى المفعول، حتى لا ينحصر فيه، لأن القصد من ذكر الفعل أن تثبته لفاعله، لا أن تلبسه بمفعوله، وعليه يكون حذف المفعول به مليئاً باللطائف ومشبعاً بالإيحاءات التعبيرية التي تخدم الذوق البلاغي.

فعرْضُ الجرجاني للسياق الذي يرد فيه حذف المفعول يربطه بحاجة المتكلم إلى طبيعة التركيب، وصلة اللفظة بغيرها، وذلك بارتباط الفعل بماييليه من فاعل ومفعول، وهي علاقة لا تمييز بها بينهما عند الجرجاني، بخلاف اعتبار النحاة الفاعل عمدة والمفعول فضلة، أمَّا عنده فحال الفعل مع المفعول كحاله مع فاعله.(١)

ويعلِّق محمد عبد المطلب على هذه السياقات التي أوردها الجرجاني بقوله "إنها تمثل بدقة مفهومه النَّحويّ للعلاقات بين الكلمات، وهو مفهوم يسقط من اعتباراته تنسيق الجملة على أساس من أهمية البعض(*)، وعدم أهمية البعض(*) الآخر، وإنما تركيب الكلمات هو الذي يعطي لكل جزئية أهميتها في السياق، وهو أمر لم يستطع كثير من البلاغيين بعد تنميته بشكل مباشر"(٢).

وتركيب الكلمات وأهميته هو ما ذهب إليه الجرجاني من وصف الكلمات بالمجاز عند انتقالها من حكم كان لها إلى حكم ليس هو بحقيقة فيها، كقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ (يوسف ٨٢) والأصل أهل القرية. فالحكم الذي يجب للقرية في الأصل، وعلى الحقيقة هو الجر، والنصب فيها مجاز(٣).

والذي يؤكد ربط الحذف بحاجة المتكلم إلى طبيعة التركيب، وعلاقة الكلمات بعضها ببعض قوله في فصل بعنوان (الحذف والزيادة هل هما من المجاز أم لا؟): "واعلم أن من أصول هذا الباب أن من حق المحذوف أو المزيد أن ينسب إلى جملة

---

(١) انظر البلاغة والأسلوبية: محمد عبد المطلب، ص ٢٣٨.

(*) كذا وردت والصواب عدم دخول (ال) عليها.

(٢) السابق، ص ٢٤١.

(٣) أسرار البلاغة، ص ٤١٦.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الكلام لا إلى الكلمة المجاورة له، فأنت تقول إذا سُئلت عن القرية: في الكلام حذف، والأصل: أهل القرية، ثمّ حُذف (الأهل) تعني حَذْفَ من بين الكلام"[1].

وقد جعل الجرجاني من حذف المفعول قسمين، أحدهما: جلي لا صنعة فيه، والآخر: خفيّ تدخله الصنعة. أمّا الخفي فيتفنن ويتنوع، ومن تنوعه أن تذكر الفعل وفي نفسك له مفعول مخصوص، قد عُلم مكانه، إما بجري ذكر أو دليل حال، وتوهم أنك لم تذكر ذلك الفعل إلاّ أن تثبت نفس معناه من غير أن تعديه إلى شيء، ومثاله قول البحتري[2]:

شَجْوُ حُسَّادِهِ، وغَيْظُ عِدَاهُ أَنْ يَرَى مُبْصِرٌ وَيَسْمَعَ وَاعِ

والمعنى لا محالة أن يرى مبصر محاسنه ويسمع واعٍ أخباره وأوصافه، فحذف المفعول هنا (محاسنه، وأخباره أو أوصافه) ليثبت معنى الفعل دون تعديته إلى المفعول.

ومن حذف المفعول حتى لا يلتبس بفاعل الفعل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ (القصص ٢٣).

في الآية حُذف المفعول في أربعة مواضع، إذ المعنى :(وجد عليه أمة من الناس يسقون أغنامهم أو مواشيهم، وامرأتين تذودان غنمهما أو مواشيهما، وقالت: لا نسقي غنمنا أو مواشينا، فسقى لهما غنمهما أو مواشيهما).

ويعلّق الجرجاني على هذا الحذف بقوله : "لا يخفى على ذي بصر أنّه ليس في ذلك كله إلاّ أن يترك ذكره، ويؤتى بالفعل مطلقاً، وما ذاك إلاّ أنّ الغرض في أن يعلم أنّه كان من الناس في تلك الحال سقي حتى يصدر الرعاء، وأنّه كان من موسى عليه

(١) السابق، ص ٤٢٠.

(٢) ديوان البحتري، تحقيق وشرح: كامل الصيرفي ١٢٤٤/٢، وانظر دلائل الإعجاز ص ١٥٥-١٥٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

السلام من بعد ذلك سقي. أما ما كان المسقي أغنماً أم إبلاً أم غير ذلك، فخارج عن الغرض، وموهم خلافه، وذلك أنّه لو قيل: (وجد من دونهم امرأتين تذودان غنمهما) جاز أن يكون لم ينكر الذود من حيث هو ذود، بل من حيث هو ذود غنم، حتى لو كان مكان الغنم إبل لم ينكر الذود"[1].

وتحدث الجرجاني عن نوع آخر من الحذف الخفي سماه (الإضمار على شريطة التفسير) ومن ذلك قولهم: أكرمني وأكرمت عبدالله، أردت أكرمني عبدالله وأكرمت عبدالله ثمّ تركت ذلك في الأول استغناء بذكره في الثاني، ومن لطيف ذلك ونادره قول البحتري:[2]

لَوْ شِئْتَ لَمْ تُفْسِدِ سَمَاحَةَ حَاتِمٍ كَرَمَاً، وِلَمْ تَهْدِمْ مَآثِرَ خَالِدِ

والأصل عند الجرجاني: لو شئت أن تفسد سماحة حاتم لم تفسدها، ثمّ حذف ذلك من الأول استغناء بدلالته في الثاني عليه، ولو رجعت فيه إلى ما هو أصله فقلت:(لو شئت أن تفسد سماحة حاتم لم تفسدها) صرت إلى كلام غثٍّ، وإلى شيء يمجه السمع وتعافه النفس.[3]

فذِكْرُ المفعول في موضع حذفه، يجعل العبارة ركيكة، وخالية من أية قيمة جمالية، لأنَّ الأثر الدلالي الذي يوحيه المحذوف لا يمكن أن يدل عليه المذكور، وهذا ما يتبين لنا من الآية السابقة.

ويظهر أنَّ تحليلات الجرجاني لهذا الأسلوب كافية لتدل على أنّه صاحب ذوق بلاغي، وحسٍ تعبيري مرهف، فقد صاغ هذا الأسلوب بشكل واعٍ بالقيم التحليلية للنصوص، استطعنا من خلالها أن نشعر بنقلة نوعية طرأت على درس الحذف، وهو لا يقف عند هذا الحد، بل يدعونا أن نلمس ذلك بأنفسنا من خلال بعض النماذج، لأنّه لا يستطيع نقل شعوره بأثر المحذوف بالوصف.

---

(١) دلائل الإعجاز، ص ١٦١-١٦٢.

(٢) ديوان البحتري، تحقيق وشرح: كامل الصيرفي ٥٠٨/١، وانظر دلائل الإعجاز، ص ١٦٣.

(٣) دلائل الإعجاز، ص ١٦٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وبذلك كان الجرجاني قمة بلاغية شكلت هذا الأسلوب، ولم نجد من يسير على نهجه ويترسم خطاه محللاً، مستقصياً سوى الزمخشري في تفسيره الكشاف.

لقد كان الزمخشري قمة بلاغية متممة لعبد القاهر الجرجاني، فقد استوعب كتابي الجرجاني ونظراته فيهما، وأسعفته ثقافة واسعة وعلم غزير، يمثل النَّحو جانباً منه. كما أسعفته أيضاً موهبة أصيلة وذوق واضح، فاستطاع بذلك كله أن يفسِّر القرآن الكريم تفسيراً يُعدُّ تطبيقاً لما جاء به الجرجاني.(١)

وقد قدم صورة رائعة لتفسير القرآن الكريم، حيث حاول تعمق مسالك التنزيل، والكشف عما يطوى فيه من كمال وجلال، بذوق أدبي مرهف، وحسٍّ فني بقيم الجمال البلاغي، وإذا كانت قيمة الحذف البلاغية قد وصلت أعلى ذروتها عند الجرجاني من حيث الصك والتنظير، فإنها بلغت رقيّها العملي وتطورها الفني عند الزمخشري في تفسيره من حيث التطبيق.(٢)

واستطاع العالمان الكبيران (الجرجاني والزمخشري) أن يكوِّنا قمة بلاغية واعية بالحس والإدراك، فبعد أن كانت فناً يدرك بالحس الجمالي، أو جمالاً يدرك بالذوق، أصبحت على أيديهما أحكاماً أو معارف صاغوها في حدود وتعريفات. وقد كنت تقرأ النص أو تسمعه، فتأخذك الروعة ويكتنفك السحر، فلا تدري سبباً لإعجابك ولا تعرف علة لسرورك، حتى يأخذ بيدك ابن الصنعة أمثال الجرجاني والزمخشري فيقفك على مواطن الجمال الذي استهواك، ويربط بينه وبين نفسك برباطٍ من ذوقه وفكره، فإذا سبب الإعجاب مكشوف لعينيك، واضح أمام ناظريك، فتزداد فوق إعجابك بالجمال إعجاباً بمعرفة سرِّه، ونشوة بإدراك أمره(٣).

يقول بكري أمين عن فهم العالِمَين للبلاغة العربيَّة :" ولعلنا لا نغالي إذا قلنا: إنَّه لم يأت بعد عصر الجرجاني والزمخشري مَنْ فهم البلاغة فهمهما إيَّاها، وإنّ الذين

---

(١) البلاغة العربيَّة في تاريخها: محمد علي سلطاني ١٩٨/١.

(٢) انظر: البلاغة العربيَّة بين القيمة والمعيارية: سعد أبو الرضا، ص ١٦٣.

(٣) البلاغة العربيَّة في ثوبها الجديد (علم المعاني): بكري شيخ أمين، ص ٤٧.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

جاءوا من بعد إنما كان عملهم في أكثر الأحيان تلخيصاً وشرحاً، وإنهم لم يزيدوا في فهم البلاغة وشرح فنونها شيئاً ذا بال" (١).

لقد استطاع العالمان أن يحللا الأسلوب تحليلاً جديداً، فكان نظرية في الذوق والإدراك لم يفصلاه عن النصوص، فالزمخشري وصلها بآيات القرآن الكريم مستشهداً من حين لآخر بالشعر، وكلام العرب، أما الجرجاني فقد التمسها في نصوص من التنزيل والشعر والنثر. وهي نصوص حللها تحليلاً بديعاً، "وكأنما كانت هاتان العبقريتان النادرتان إيذاناً بأن تستوي النظرية في مثل أعلى، وهو مثل صوراه أبدع تصوير، فإذا العصور التالية تفتن به فتنة شديدة، وإذا هي لا تستطيع أن تضيف إليه شيئاً ذا بال، إلاّ أن تعمد إلى درسها، وإلاّ أن تتعبد ما قالاه وأحكماه، مما دفع النظرية إلى أن تصبح قواعد جافة جامدة"(٢).

وكانت مرحلة الجرجاني مرحلة تميز وتقدم على الدرس البلاغي بكافة أساليبه، لأنه استطاع أن ينحو بها منحى آخر غير سابقيه، منحى تحليلياً، قائماً على الذوق البلاغي، متجاوزاً مرحلة البداية، ولكنّ التحليلات البلاغية التي أوجدها الجرجاني لم تتخذ نموذجاً يسار عليها، لذا يكاد الذوق البلاغي بعده أن يبتعد تماماً عن الدراسة القائمة على التحليل المغني للنصوص، لتدخل في طور آخر عُرف بالتقعيد والجمود.

وكان جمود البلاغة هو المسيطر عليها بعد الجرجاني، فلم تقدر أن تتجاوز هذا المدى الذي وصلَ بها إليه، إنها لم يقدَّر لها أن تقف طويلاً عند هذا المدى من عمق البحث ورهافة التحليل، ونضج التناول، لما أصابها من انتكاسة بعد الجرجاني. فقد كان الاهتمام بالقاعدة والتقسيم من أجل الوقوف على الجوانب الفنية، لذا فقدت البلاغة جانبها الجمالي الذوقي، وتحولت إلى علم تقنيني صارم.(٣)

---

(١) السابق ص ٤٧.

(٢) البلاغة تطور وتاريخ: شوقي ضيف، ص ٢٧١.

(٣) انظر: البلاغة العربيّة، تاريخها، مصادرها، مناهجها: علي عشري زايد، ص ١٢٣-١٢٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وبهذه الألمعية التي أبرزها الجرجاني وطبقها الزمخشري في تفسيره عن الأساليب البلاغية، يكتفي البلاغيون اللاحقون بتعبيراتهم، وتحليلاتهم البلاغية، واقتصر عملهم على الجمع والتصنيف والتبويب دون زيادة أو تحليل. فكان الخفاجي والرازي والسكاكي وغيرهم أنموذجاً لهذا الجمود، ولذلك التحجر الذي أصاب أروقة التحليلات البلاغية. وكدليل على ذلك الجمود، وتلك الهيكلة الواحدة لأسلوب الحذف، نستعرض ما قاله البلاغيون عنه:

يذكر ابن سنان(*) إيجاز الحذف وأنواعه، ومنها حذف الأجوبة لدلالة الحال عليها كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ (الرعد ٣١).

ثمّ يشير إلى ما في هذا الحذف من فائدة جعلته أبلغ من الذكر، ذلك لأن النفس تذهب فيه كلَّ مذهب، ولو ورد ظاهراً في الكلام لاقتصر على البيان الذي تضمنه، فكان حذف الجواب أبلغ لهذه العلة.(١)

ويرى عبد الغني بركة أننا "لسنا هنا مخيرين بين الذكر والحذف، بل إنَّ حق البلاغة وحق المعنى قد استوجبا الحذف ما دام الذكر لا يسد مسده، فنحن إذاً لا نحذف لفظاً لدلالة الفحوى عليه، بل نحذفه لأنَّ التعبير عن المعنى كاملاً لا يتم إلاّ بحذفه"(٢).

ويتحدث عما قصد به الإيجاز، وهو حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه، بحيث يقع العلم ويزول اللبس.

أما فخر الدين الرازي(*) فيبدأ الحديث عن حذف المفعولات بقوله :"اعلم أن الأفعال المتعدية قد يكون لها مفعولات معينة، وربما لا يكون، والذي يكون له مفعول

(*) هو أبو محمد عبدالله بن محمد بن سنان الخفاجي (٤٢٢-٤٦٦هـ)، صاحب سرّ الفصاحة.

(١) انظر، سر الفصاحة، ص ٢٠١-٢٠٢.

(٢) رؤية جديدة للإيجاز والإطناب، ص ٨٨.

(*) هو محمد بن عمر بن الحسين، الملقب بفخر الدين الرازي (٥٤٣-٦٠٦هـ)، تربى في كنف أبيه، وأخذ عنه وكان في أوّل أمره فقيراً. صنف: مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، ونهاية الإيجاز في دراية الإعجاز وغير ذلك. (نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص٨ وما بعدها).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

معين فحاله كحال غير المتعدي في أنّك لا ترى له مفعولاً لفظاً وتقديراً، وهو كقولهم: (فلان يحل ويعقد ويأمر وينهى ويضر وينفع) والمقصود في جميع ذلك إثبات المعنى في نفسه للشيء"[1].

ويبين الرازي بعد ذلك أغراض حذف المفعول، وهي عنده بيان حال الفاعل لا بيان حال المفعول أو يكون المقصود في حذف المفعول المعين، أن يكون المقصود ذكره لكنك تحذفه لإبهام أنك لا تقصد ذكره أو أن يُحذف لكونه جلياً كقولهم: أصغيت إليه.

أما حديثه عن المبتدأ فقد أعاد ما قاله الجرجاني، ما من اسم حذف في الحال التي ينبغي أن يحذف إلاّ وحذفه أحسن من ذكره[2]، ويستشهد بأمثلة على هذا النوع، وهي أمثلة أوردها الجرجاني. وبذلك لا نرى للرازي فضلاً يزيد على الجرجاني في عقده باباً للحذف والإضمار والإيجاز، "وهو فيه يستهدي بعبد القاهر، وقد استهله بالحديث عن المفعولات،...ويتحدث عن حذف المبتدأ في ظلال ما كتبه عبد القاهر، وإن ذهب إلى أنّه لم يعلل بدقة بيان حسنه، وهو يكثر في فصول هذا الباب من الاستشهاد بآي القرآن الكريم، وتحس صلته في تعليقاته عليها بالزمخشري"[3].

ويعتمد الرازي كثيراً في تحديده وتقنينه لهذا الموضوع على سياق ما كتبه الجرجاني، وما استوعبه من آيات القرآن الكريم، ويستخلص في الحذف أقسامه وأغراضه، ويتحدث عن بيان حذف المبتدأ، وجعله خاتمة الموضوع في بحث الإيجاز لما فيه من زيادة الفخامة في الكلام، إلاّ أنّ الرازي في سياق حديثه عن الحذف لم يحاول أن يتجاوز ما كتبه سابقوه ولا سيما عبد القاهر، وبقي يدور في فلكهم دون تطور أو تجاوز، برغم أنّ الرازي في تفسيره الكبير يرى أنّ القرآن الكريم معجز

---

(١) نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص ٣٣٧.

(٢) انظر، دلائل الإعجاز، ص ١٢٦.

(٣) البلاغة تطور وتاريخ: شوقي ضيف، ص ٢٨٤-٢٨٥.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

بتركيبه بالإضافة إلى فصاحة القرآن بحسب ترتيبه ونظم آياته، وبذلك يقول : "إلاّ أنّي رأيت جمهور المفسرين معرضين عن هذه اللطائف غير منتبهين لهذه الأمور"(١).

وفي تطبيقات الرازي للنظم، يتوخى معاني النحو بين الكلم في تفسيره للآيات. ولعل أبرز صورة لهذا التطبيق في تفسيره، تلك التي بيَّن فيها مواضع التقديم والتأخير والحذف والإضمار، في سبيل بيان الوجه الذي يستقيم فيه بناء الآية(٢).

فالرازي في تفسيره للقرآن الكريم كان يستخدم معاني النَّحو والبلاغة حتى يوجه الآية الوجهة التي يستقيم ويتضح بها معناها، إلاّ أنه في كتابه نهاية الإيجاز، وما جاء به من حذف يعدُّ تلخيصاً لما جاء به الجرجاني، فكان أوّل من نقل البلاغة العربيَّة نقلة مغايرة عنها زمن الجرجاني، وفيه يقول عبد الفتاح لاشين :"كان بعمله هذا أول من قعَّد علوم البلاغة، وكان الصلة بين البلاغة الأدبية، والبلاغة ذات القوانين والقواعد. وقد حوَّل البلاغة إلى قوانين وتعريفات، وبذلك قضى على الروح الأدبية في كتابي الجرجاني ... وكان يميل نحو الضبط والحصر المنطقي، فهو بذلك حلقة الوصل بين بلاغة الإمام وبلاغة السكاكي(*)"(٣).

وبهذا الوصف لعمل الرازي والذي لا يمكن تجاهله، يبدو أنَّ عمله خالٍ من أيِّ قيمة تحليلية ذات بعد جمالي، وهو مَن مهَّد لمدرسة السكاكي الذي عُرف بتحجر البلاغة العربيَّة على يديه.

ويتحدث السكاكي عن الحذف مشيراً إلى الحالات التي تقتضي حذف المسند إليه المبتدأ وهي عنده :"إذا كان السامع مستحضراً له، عارفاً منك القصد إليه عند ذكر المسند، والترك راجع إما لضيق المقام، وإما للاحتراز عن العبث بناءً على الظاهر،

---

(١) التفسير الكبير ١٣٨/٧، نقلاً عن فخر الدين بلاغياً: ماهر هلال، ص ٢٣٥.

(٢) انظر، فخر الدين الرازي بلاغياً: ماهر هلال، ص ٢٣٥.

(*) هو سراج الدين يوسف بن أبي بكر السكاكي الخوارزمي، (٥٥٥-٦٢٦هـ)، كان حنفي المذهب بدليل ورود اسمه في كتب تراجم الحنفية، صنف: مفتاح العلوم، وشرح الجمل وغير ذلك. (البلاغة عند السكاكي: أحمد مطلوب، ص٦٠).

(٣) المعاني في ضوء أساليب القرآن، ص ٢٩.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وأما التخييل فإنَّ في تركه تعويلاً على شهادة العقل، وفي ذكره تعويلاً على شهادة اللفظ من حيث الظاهر، وكم بين الشهادتين، وأما الإبهام فإنَّ في تركه تطهيراً للسان عنه، أو تطهيراً له من لسانك، وإما للقصد إلى عدم التصريح ليكون لك سبيلاً إلى الإنكار إن مست إليه حاجة، وإما لأنَّ الخبر لا يصلح إلا له حقيقةً، كقولنا: خالق لما يشاء فاعل لما يريد؛أو ادعاء، وإما لأن الاستعمال وارد على تركه أو ترك نظائره، كقولهم: نعم الرجل زيد، على قول من يرى أصل الكلام: نعم الرجل هو زيد، وإما لأغراض سوى ما ذُكر"[1].

ويتحدث السكاكي عن حذف المبتدأ والخبر والمفعول به والفعل، إلا أنَّ حديثه كان مقتصراً على العرض والتصنيف وحسب، دون اللجوء إلى التحليل، سيما أنَّه مؤثر في التركيب الذي يخدم الذوق البلاغي والجمال الفني. فتراه يقول عن ترك المسند :"أما ترك المسند فيأتي متى كان ذكر المسند إليه بحال يعرف منه المسند"[2].

ويأخذ بالحديث عن أغراض حذف المسند مستشهداً بأمثلة على ذلك بقوله:"إما اتباع الاستعمال، كقولهم: ضربي زيداً قائماً، وإما قصد الاختصار عن العبث، كما إذا قلت: خرجت فإذا الدار، وعليه قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (الحج ٧٢) إذا حملته على تقدير: النار شر من ذلكم"[3] ولأغراض أخرى ذكرها.

وقد جعل حذف الفعل هي نفسها عند المفعول تقريباً، فمنها: أن تكون هناك حروف إضافة، لأنها لا تنفك عن الأفعال، فتارة تريد الشروع، كما إذا قلت عند الشروع (باسم الله) فإنه يفيد باسم الله أقرأ، وتارة يفيد الاقتران، كقولك لمن أعرس:

---

(١) مفتاح العلوم، ص ١٧٦.

(٢) السابق، ص ٢٠٦.

(٣) السابق، ص٢٠٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

بالرِّفاء والبنين، فإنه يفيد بالرِّفاء أعرست، ومنها أن يكون الكلام جواباً لسؤال دافع، كأن تقول: مَنْ يكتب الكتاب؟ فيقال: زيد، فيكون الحال مغنية عن ذكر: يكتب.[1]

أما ابن الأثير[*] فيلفت النظر قبل أن يبدأ بذكر الحذف إلى أنّ "الأصل في المحذوفات جميعاً على اختلاف أضربها أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف، فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف، فإنّه لغو من الحديث لا يجوز بوجه ولا سبب"[2]، وأنّه من شروط المحذوف في البلاغة "أنّه متى أُظهر صار الكلام إلى شيء غث لا يناسب ما كان عليه أولاً من الطلاوة والحسن"[3].

ويذكر ابن الأثير أنّ المحذوف قد يظهر في الإعراب كقولنا :(أهلاً وسهلاً) فإنّ نصب الأهل والسهل، يدل على ناصب محذوف، وهو لا يظهر في الإعراب، وإنما بالنظر إلى تمام المعنى، وعليه قولنا: (فلان يحل ويعقد) إذ المعنى يحل الأمور ويعقدها.[4]

وتحدث عن أضرب الحذف المختلفة، غير أنّه في دراسته لها لم يهتم بالكشف عن الأسرار البلاغية للحذف في الشواهد التي جاء بها، بل كان همه الاستقصاء والتفصيل، مع أن اهتمام البلاغي يجب أن ينصب على الكشف عن الجوانب البلاغية والقيم التعبيرية.

ويقسِّم ابن الأثير الحذف إلى قسمين،[5] أحدهما: حذف جمل، والآخر: حذف مفردات، ويستطرد في تفصيل كل نوع، مستشهداً بأمثلة متعددة لتوضح ذلك. فقد

---

(١) في حالات أخرى انظر: مفتاح العلوم، ص ٢٢٥ وما بعدها.

(*) هو أبو الفتح نصر الله بن أبي الكرم محمد الشيباني (٥٥٨-٦٣٧هـ) كان مولده بجزيرة ابن عمر، ونشأ بها وانتقل مع والده إلى الموصل، وبها اشتغل، صنف: المثل السائر، والمعاني المخترعة في صناعة الإنشاء، وغير ذلك. (المثل السائر، ٣٠/١).

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر ٢٦٨/٢.

(٣) السابق ٢٦٨/٢.

(٤) السابق ٢٦٩/٢.

(٥) انظر؛ السابق ٢٦٩/٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

استطاع أن يفصّل القول في الحذف، تفصيلاً جعله قريباً من البعد التوضيحي فكان تعليمياً؛ لتمكنه من عرض أمثلة عديدة على قسمي الحذف، انطلاقاً من عرض أنواع حذف الجمل التي طرحها متمثلة بحذف جمل مفيدة تستقل بنفسها، وحذف جمل غير مفيدة، وهو ما فعله أيضاً بحذف المفردات التي تمثل حذف المبتدأ والخبر والمضاف والصفة وغير ذلك.

هذا التقسيم المفصَّل هو الذي جعل البعد التعليمي الطابع الذي وُسِمَ به حديثه عن الحذف، وهو أمر شامل للدرس البلاغي المتمثل بالحذف، وهو أمر يحمد عليه من جهته التفصيلية التوضيحية، لكنَّه يؤخذ عليه من جهته الإبداعية التحليلية.

ولم يكن الزملكاني(*) كذلك إذ اكتفى ببعض العبارات الجميلة التي أوردها عن الحذف، لكنه لم يأخذ بها عند عرضه للشواهد. ومن جميل قوله: "وربَّ صمت أفصح من الكلام، ورمز آلم من لذع الحسام"(١) ويذكر أبياتاً استشهد فيها بمواطن المحذوف، وهو يرى أنَّ الإبهام مرجوح، لأنّه يلقي في النفس تشوقاً إلى ما هو المراد من غير أن يخلص لعين ذهني أو خارجي، فيرجع الذهن قاصراً عن إدراكه، عندها يعظم شأنه ويعلو في النفس مكانه.(٢)

ويستشهد بآيات وقع فيها الحذف، منها: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِ﴾ (الانبياء ٨١)، وقوله تعالى: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا﴾ (الاعراف ٧٣) أي سخرنا لسليمان وأرسلنا إلى ثمود، وغير ذلك من الآيات، إلا أنَّه لم يعلق على الآيات تعليقاً بلاغياً، ولم يقف عليها وقفة دلالية، تكشف لنا عن القيمة الجمالية للحذف، فكان كغيره بعيداً عن الجانب التحليلي.

(*) هو عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني (ت ٦٥١هـ)، أبو المكارم، كمال الدين، ويقال ابن خطيب زملكان، له شعر حسن، صنف: التبيان في علم البيان وإعجاز القرآن.

(١) البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن، ص ٢٣٧.

(٢) انظر، السابق، ص ٢٣٩.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وما ينطبق على ابن الأثير من قول في هذا الموضوع ينطبق على الطوفي البغدادي(*) الذي أتبعه علماء البلاغة إلى المدرسة الأدبية مع ابن الأثير، وقالوا بأنها تزخر بالجمال الفني عند تحليل النصوص القرآنية والأدبية، إلا أنَّه كان بعيداً عن ذلك الجمال، عندما تعرض للحذف، برغم أنَّه تعرض لأربعة عشر ضرباً منه، لكن دون اللجوء إلى التحليل الذي يوصف بالجمال الفني.(١)

أما القزويني فلم يتحرك محللاً أبداً، ففي باب الحذف جاءت شواهده ممثلة للحذف في جزء جملة أو جملة أو أكثر من جملة. ففي جزء الجملة تحدث عن المضاف، كقوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ﴾ (المائدة ٣) أي تناولها، لأنَّ الحكم الشرعي يتعلق بالأفعال دون الأجرام، وعن الصفة قوله تعالى: ﴿وَكَانَ وَرَاءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ (الكهف ٧٩)، أي كل سفينة صالحة بدليل ما قبله(٢).

ومن حذف الجملة قوله تعالى: ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ (الأنفال ٨)، أي فعل ما فعل ليحق الحق ويبطل الباطل، وما حُذف منه أكثر من جملة قوله تعالى: ﴿أَنَا أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِ فَأَرْسِلُونِ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ﴾ (يوسف ٤٦) أي فأرسلون إلى يوسف لأستعبره الرؤيا ففعلوا، فأتاه وقال له: يا يوسف أيها الصديق(٣).

(*) هو سليمان بن عبد القوي بن عبد الكريم الصرصري البغدادي (٦٥٧-٧١٦هـ)، قرأ العربيَّة والتصريف على محمد بن الحسين الموصلي، وسمع الحديث عن الرشيد بن أبي القاسم، قضى عمره متنقلاً بين بغداد ودمشق ومصر، يتزود بالعلم والمعرفة ويتبحر في الدين واللغة. صنف: الإكسير في علم التفسير، وجدل القرآن، وبغية الواصل في معرفة الفواصل. (الإكسير في علم التفسير، ص د وما بعدها).

(١) انظر في ذلك، الإكسير في علم التفسير: الطوفي البغدادي، ص ١٧٨ وما بعدها.

(٢) انظر، الإيضاح في علوم البلاغة: القزويني، ص ١٧٠-١٧١، وانظر، شرح التخليص في علوم البلاغة: القزويني ص ١١٠.

(٣) انظر، شرح التخليص في علوم البلاغة، ص ١١٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وانضم القزويني لمدرسة الجمود، إذ لم يُدخل إلى درس الحذف شيئاً ذا بال، فلم يُظهر ذوقاً في النصوص التي عرضها، ولا رهافة حسٍ، والسبب يعود لتيار السكاكي الذي جرفه فاقتصر عليه. ولم ينظر في النصوص نظرة تحليلية، وعنه يقول أحمد مطلوب :"وفي الواقع أن القزويني سار على خُطا السكاكي، ولم يخرج عنه في المنهج، ومادة البلاغة وموضوعاتها. وهو في كتابه التلخيص والإيضاح لم يحدث في جوهر البلاغة تغييراً يعدُّ، ولم يضف إلى البلاغة جديداً له قيمتهُ وأهميته"(١).

والحذف لا يخل في المعنى ولا ينقص من قدر البلاغة، وهو ما يؤكده العلوي(*) بقوله:" بل أقول لو ظهر المحذوف لنزل قدْر الكلام من علو بلاغته، ولصار إلى شيء مستركٌ مسترذلٍ، ولكان مبطلاً لما يظهر على الكلام من الطلاوة والحسن والرّقة"(٢).

وهذا ما يؤكد أن الكلام في موقعه أفضل من الذكر، لأنه يؤدي إلى الإيجاز اللغوي الذي يدخل في باب البلاغة بتحريكه الفكر عند معاينة المحذوف.

فهو يرى أن إيجاز الحذف ضرب بلاغي يرفع من قدر البلاغة ويعلي من شأنها، ولكن لا بد من دلالة عليه، وإلاّ "فإنه يكون لغواً من الحديث، ولا يجوز الاعتماد عليه، ولا يحكم عليه بكونه محذوفاً بحال"(٣).

فالحذف إذا لم تكن هناك إشارات دالة على وجوده فإنَّه نقصٌ في الكلام ونقصٌ في المعنى وهذا يعني خلل في التركيب وعيبٌ فيه.

ولم يقف العلوي عند ذلك، بل تحدث عن جهتي ظهور المحذوف، وهما: جهة الإعراب؛ وهو كقولك: أهلاً وسهلاً، فإنه لا بد لهما من ناصب ينصبهما يكون محذوفاً، لأنهما مفعولات في المعنى، وثانيهما: لا من جهة الإعراب، وهذا كقولنا: فلان يعطي ويمنع، فإن تقدير المحذوف لا يظهر من جهة الإعراب، وإنما من جهة المعنى.(٤)

---

(١) البلاغة عند السكاكي، ص ٣٧٨.

(*) يحيى بن حمزة العلوي (٦٦٩-٧٤٩هـ)، صنف الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز.

(٢) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ٩٢/٢.

(٣) السابق ٩٢/٢.

(٤) انظر، الطراز المتضمن لأسرار البلاغة ٩٣/٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهو بذلك يشير إلى جهتي ظهور الحذف، وهما جهة الإعراب، وهي خاصة بالتركيب، والأخرى جهة المعنى وهي خاصة بالدلالة وهما الجهتان اللتان ينتجان عن الحذف.

وتحدث العلوي عن أقسام الحذف؛ من حذف واقع على المفردات، وآخر على الجمل، ويرى أن حذف المفردات أكثر انتشاراً من حذف الجمل، بقوله :"اعلم أن الإيجاز بحذف المفردات أوسع مجالاً من حذف الجمل، لأن المفردات أخف في الاستعمال فلهذا أكثر منها"(١)

واتسمت هذه المرحلة (مرحلة ما بعد الجرجاني) بالثبات والجمود كما تبين، فكانت حالة من السبات والركود الفني في تناول مسائل الحذف البلاغية، فلم نجد إلاّ اجترار الأراء البلاغية السابقة، وصبها في قوالب جامدة لا تحيد عما وصفه علماء البلاغة أو أشاروا إليه دون محاولة للتجديد أو التحليل، وإنما كان عملهم الاكتفاء بوضع المصطلحات والقواعد وتبويب المسائل. "وهو جهد كبير لا يمكن التقليل من قيمته، فلولا عملهم ما استطاعت البلاغة ان تتخذ سمة العلوم التي تربط بالقيود والتعريفات والحدود، فالذوق الفني والإحساس بالجمال يختلفان من شخص لآخر، وما يراه القارىء بحسه وذوقه جميلاً قد يراه قارىء آخر قبيحاً بحسه وذوقه أيضاً، فلا بد إذن من شيء آخر فوق الحس والذوق يميز الجمال من القبح والحسن، وأعني بذلك الشيء الآخر، العلم الذي يحيل الأشياء المتناثرة والملاحظات العابرة إلى شيء منظم دقيق له قواعده وأصوله وحدوده ورسومه التي لا يفضلها علم من العلوم"(٢).

وبذلك لا يكون لمرحلة ما بعد الجرجاني فضل على البلاغة العربية بعامة وعلى درس الحذف بخاصة سوى الجمع والترتيب والتصنيف. فالأمور التحليلية لمواطن الحذف لدى البلاغيين المتأخرين كانت معدومةً. وهو ما ينقص كتاباتهم، فقد كان الاهتمام منصباً فقط على الجمع والترتيب دون النظر إلى الجانب التحليلي.

ويُلْمَحُ بأن تراثنا النقافي قد خمدت جذوته بسبب الجمود الذي وصل إلى تراثنا البلاغي، وهو ما يؤكده شكري عياد بقوله :"حالة الجمود والتحجر وصلت من بلاغة

---

(١) السابق، ٢/١٠٠.

(٢) المختصر في تاريخ البلاغة العربيّة: عبد القادر حسين، ص ١٩٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

السكاكي المتمثلة في مفتاح العلوم وتلخيص المفتاح، وشروح التلخيص، ولا يزال الإيضاح للخطيب القزويني في شرح تلخيصه للمفتاح يدرّس في اقسام اللُّغة العربيَّة في جامعاتنا. وإذا كنا لا نستطيع أن نكتم ما نشعر به من أسى، لأننا قلما ننجح في إقناع طلابنا بقيمة هذا الكتاب، فإننا نعد بأن ننحي كل هذا الأسى جانباً، وألاّ نسمح للعاطفة الطبيعية التي تجذبنا نحو تراثنا الثقافي بأن تؤثر في موضوعية الدراسة. فلئن كانت جذوة الحياة قد خمدت حقاً في هذا الجسد المسجَّى، إنه لأكرم لنا وله أن نعلن موته ونواري سوءته في التراب"(١).

ويقرر شكري عياد بكلامه السابق أن تراثنا الثقافي ومنه البلاغي قد توقف، ولا نستطيع إنكار ذلك التوقف إذا نظرنا إليه من ناحية موضوعية. ولعل ذلك التوقف يكون الدافع لأن ننزح إليه، وأن ننظر فيه مجددين أو محاولين علنا نحركه، ليكون علماً فاعلاً وأداة قوية في الكشف عن جوانبه المختلفة.

ويمثل هذا المبحث الدراسة البلاغية للحذف في الدرس المتقدم، فقد كانت النظرة إلى تلك المرحلة من الدرس قائمة على استيفاء أهم القضايا المتعلقة بالحذف دون الإمعان في النصوص التي يقع فيها، عدا ما جاء به الجرجاني من تحليل قائم على الذوق.

ولقد كان هذا الأسلوب نحوياً، ثمّ انتقل لطور البلاغة، وما يهمنا فيه أن البلاغيين المتقدمين ولا سيما من جاء بعد الجرجاني لم يُغْنوه بلاغياً بشكل كبير، وإنما اقتصروا على نصوص وشواهد عُولجت، ولم يكن الذوق وراء تحليل هذه النصوص، إذا ما استثنينا بعض العبارات التي تشعر بعمق إحساسها، كقول الرماني : "وإنما صار الحذف في مثل هذا أبلغ من الذكر، لأن النفس تذهب فيه كل مذهب، ولو ذكر الجواب لقصر على الوجه الذي تضمنه البيان"(٢).

ويشير هنا إلى الأثر النفسي في إظهار قيمة الحذف، لأن القيمة الجمالية والنفسية من الأصول التي يجب أن تراعى عند دراسة البلاغة العربيَّة، ولأن الشعور الإنساني يفيد في استيعاب النصوص، إلاّ أنها عبارات نظرية لا يُعنى بها الجانب التطبيقي، وهي السمة العامة للحذف في الدرس البلاغي المتقدم.

---

(١) اتجاهات البحث الأسلوبي، ص ٢١٥.

(٢) رسالة الرماني ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم: الرماني والخطابي والجرجاني، ص ٧٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني:

الحذف في الدرس البلاغي المحدث

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يظهر من المبحث السابق أنَّ الدراسة المجازية القائمة على الحذف قد بلغت مرحلة النضج، بفضل ما قدمه الإمام عبد القاهر الجرجاني، وبعده اصطفت أقدام الباحثين فلم تتقدم في خطواتها. وإذا كان المتأخرون من البلاغيين المتقدمين قد تناولوا هذا الموضوع من جهة الفصل فيه، فوجد الموضوع تحت المسند والمسند إليه في إطار الجملة الواحدة، والفصل أيضاً بينهما وبين مكملات الجملة أو متعلقات الفعل، وهي الطريقة الشائعة في كتب البلاغة العربيَّة، وإذا وجد بطريقة الجمع بينهما في باب واحد، فإن الاختلاف في الناحية الفنية لا يحدث أثراً، وإنَّما الناحية التي ينبغي أن تكون من الدرس البلاغي للحذف، هي الكشف عن أسرار التعبير، ودلالاته الكامنة في خصائصه التركيبية.

أما ما قدمه لنا المحدثون فلا يمثل مناهج مكتملة لدراسة الحذف، وإنَّما كان اجتماع أُغلبهم على أن يذكروا الحذف وأنواعه والدواعي التي نُسبتْ إليه، موضحة ومفصلة، لا مسوغ إيرادها في هذا المقام إلاّ إذا كان الغرض استيفاء الكلام عن أسلوب الحذف على أيِّ نحو.

ولا يغطي الدرس المحدث الموضوع، ولا يعطيه طابعاً مرتكزاً ذا سمات فنية عالية، نستطيع بوساطتها الوصول إلى الدلالة التي تثير النفس وتبهرها، برغم اطلاع المحدثين على فنون القول، وعلى معالم المناهج النقدية المتعددة، ودراسات النفس المحدثة. برغم هذا كله بقي الدرس المحدث قاصراً عن أن يعطي منهجاً مختمراً لتحليل الموضوع. لكننا لا ننكر أن بَعْضَ البلاغيين المحدثين تمثَّلت لهم بعض الصور المحلَّة، أخذ يطبقها على الحذف، وهي ما يمكن أن نتعرض له بشيء من الدرس والتوضيح. وهي الأمور التي يمكن أن تشكل تحليلاً معيناً لبعض المحدثين دون إغفال أثر المتقدمين في تلك الاتجاهات التي يتخذونها.

فالحذف -كما هو معروف- أبلغ من الذكر في موضعه، لأنَّك لا تستطيع أن تذكر في موضع حذف، كي لا يصير الكلام غثاً لا غناء فيه، تعافه النفس وتأباه

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

"وكثيراً ما نجد الحذف وقد وضع مكانه عدة نقاط متجاورة في الكلام، للإيحاء بهذه الدلالة التي تخصب المعنى وتغنيه، لا سيما عندما تسمح لتيار الوعي بالتدفق" (١).

ذلك لأن العقل يُجرُّ وراء هذه النقط ليصل إلى الكلام المحذوف، فإذا ما تدخل الذوق مع العقل استطاع المتلقي أن يصل إلى شيء، ذي قيمة من جهته، لأنّه توقف مفكراً أولاً، وقدّر المحذوف ثانياً. وهذا ما يعطي إثراء للدلالة وإظهاراً للقيمة.

ولا يكون الحذف إلاّ لمقتضى الإفهام، لأنّه أصل لغة الخطاب، وإلاّ استحال التخاطب وأصبح الإنسان قاصراً عن إدراك الأمور. لذا لا نستطيع أن نقول إن الحذف نقص في الكلام، بل الحذف عنصر أساسي لمستوى الإفهام كالذكر تماماً، لأنك تستطيع أن توصل للمتلقي بالحذف ما لا يستطيع الذكر أيصاله، وإلاّ تداخلت الأمور واختلطت، وأصبحت لغة الخطاب غير قادرة على أيصال الفكرة، ولما كانت قادرة على إغلاق المعنى في فكر المتلقي، وهو أمر يربك اللُّغة ويقضي على إيجازها ومجازها، لأنهما متأثران بألمعية اللغة ومستواها، فإذا ضعفت اختلا، وإذا قويت اشتدّا، وبذلك لا يكون الحذف عبثاً وإنما يكون كما يكون الذكر كلٌّ في موضعه يعمل فيه لأجل اللُّغة.

فانعدام الحذف يعني الوضوح الكامل للغة، وهذا الوضوح لا يخدمها في إثرائها، لأنّه سيبدد الكثافة التي تعطيها عمقاً، وتقترب من الشفافية التي تبسّطها، يقول محمد عبد المطلب:" ويأتي سياق الحذف، ليعلن عن احتفاء البلاغيين بإشاريّة اللُّغة على معنى أنّ الصياغة الأدبية يجب أن تبتعد عن الوضوح الكامل، لأنّ مثل هذا الوضوح في الخطاب الأدبي يبعده عن كثافته، ويعود به إلى الشفافية، مما يعني احتماله للعبثية الصياغية، ومن هنا يكفي أن تُشْحن الصياغة بمؤشرات مقالية أو حالية تسمح بغياب بعض الدوالّ المعبرة عنها، وقد أطلق البلاغيون على هذا السياق تسمية دقيقة هي(الاحتراز عن البعث بناء على الظاهر)، والظاهر يعني هذا الاكتفاء بالقرينة الدالة، إذ هي أهم من

(١) في البنية والدلالة: سعد أبو الرضا، ص ١٠٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الخطاب الأدبي من (الدال) نفسه، حيث يكون ظهوره في الخطاب إسقاطاً للأدبية بالوقوف في هوة العبثية" (١).

ويتضح من نص عبد المطلب أن الوقوف على الظاهر والابتعاد عن كثافة الخطاب ليس خنقاً للغة وحصراً لمحدوديتها فحسب، وإنما هو أمرٌ عبثي في بنيتها الصياغية. وقتل لإشاريتها التي تدفعها نحو القيمة والعمق. والحذف قادر على إلباس اللُّغة ثوباً كثيفاً، فيعطيها ركيزة وقوة، ولا يمكن التخلص منه بالذكر، لأن ذلك يعود بها إلى الشفافية، فلا يحصل للنفس لذة ولا ذوق بإدراك المعنى، لأن المتلقي يخترق الصياغة سريعاً إلى الناتج الدلالي.

وسياق الحذف يذهب إلى أقوى الدليلين من العقل واللفظ، لأنهما ركيزا اللُّغة الإشارية، وهذا ما يتنافى وطبيعة الوضوح المطلق للخطاب المألوف، لأنّه "يتيح للمتلقي أن يتدخل مباشرة بإحضار الغائب اعتماداً على السياق وقرائنه الإشارية، لكنه إحضار قائم على الاحتمال الذي يتكىء على الإدراك العقلي أحياناً والإدراك الصناعي أحياناً أخرى"(٢).

فعندما يتدخل العقل في الصياغة الإشارية يكون الإدراك بليغاً وقوياً، لأن السيادة في تعميق إشاريّة الخطاب لا تكون إلاّ بتدخل العقل، لتثير أحساسات المتلقي، فإدراك العقل كما يقول محمد عبد المطلب، صاحب السيادة لتوافقه مع الطبيعة الأدبية ويضرب على ذلك مثالاً بقوله "فقولنا (قائم) في جواب كيف زيد؟ يقتضي أن يتدخل المتلقي لإكمال الجواب باستحضار (زيد) وهو استحضار يعتمد على حركة العقل التي لا ترى نوعاً من الإفادة في الدال المفرد (قائم) من ناحية، ومن ثمّ يتم استحضار الدال الغائب من ناحية أخرى"(٣).

---

(١) البلاغة العربيّة قراءة أخرى، ص ٢١٧.

(٢) السابق، ص ٢١٧.

(٣) السابق، ص ٢١٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فتدخّل المتلقي لاستكمال الجواب يعتمد فيه على العقل، لأنّه الوسيلة الفعّالة في تقدير المحذوف، عندها يقدّر ما يتناسب مع الذوق والإحساس فيملي بإشغال المحذوف بعد إدراك بقيمته الخفية مما يوجد الكثافة اللغوية للنص.

والمتأمل في البنى الحذفية يترك قضية الصياغة ويتوجه إلى الفكر، حيث يشغل الفكر نفسه بالدخول في أشكال تعبيرية ركيزتها الحذف، ومن هنا يكون ربط العنصر الفكري بالبعد النفسي في تحليله لتلك البنى " إذ إن الحذف يؤدي بالضرورة إلى دخول المحذوف دائرة الإبهام، وهو ما يؤدي إلى حصول ألم للنفس لجهلها به، فإذا التفتت إلى القرينة تفطنت له، فيحصل لها اللذة بالعلم، واللذة الحاصلة بعد الألم، أقوى من اللذة الحاصلة ابتداءً" (١).

فالقيمة التي تتوصل إليها النفس بعد أن تقدّر المحذوف أكبر منها لو كانت ظاهرة على السطح، لأن المعاناة التي يبذلها الفكر في الوصول إلى المحذوف هي التي تصنع اللذة، ولأن النتيجة الحاصلة بعد تعب وجهد أثمن كثيراً من تلك التي تكون مطروحة في الطريق.

وإذا كان الجرجاني قد أشار إلى الحذف على مستوى التركيب ليتبين أثره في الدلالة، وبرغم أن هذه الإشارة غنية فنياً ويُحتَكَمُ في سبرها إلى الذوق، إلاّ أن من البلاغيين المحدثين مَنْ وجّه إليه ولغيره من البلاغيين بعض الانتقادات، أو المخالفات عند توجيههم لبعض نماذج الحذف ولا بد من إظهارها:

يذهب رجاء عيد إلى أن البلاغيين يرون حذف المسند إليه، للاحتراز عن العبث بناء على الظاهر، أو تخييل العدول إلى أقوى الدليلين من العقل واللفظ، وأن العقل سوف يتخيل هذا المحذوف، ويمثلون على ذلك بالبيت التالي:

قال لي: كَيْف أَنْت؟ قُلْتُ عَلِيلٌ سَهَرٌ دَائِمٌ وحُزْنٌ طَوِيلٌ(٢)

(١) البلاغة العربية، قراءة أخرى، ص ٢٢١.

(٢) انظر فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، ص ٨١، وعلم المعاني: عبد العزيز عتيق، ص ١٣٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويرى البلاغيون أن الأصل (أنا عليل)، لكن رجاء عيد يرى أن هذا التفسير غير مقنع، ويظهر تعليله بقوله :" وقد يكون إحساس الشاعر مثلاً بالعلة (عليل)، أو كأن قول مخاطبه له: كيف أنت؟ تفجير لألمه الذي يتكتمه، وسرعان ما وجد متنفساً في بيان علته التي امَّحَتْ أمامها ذاته، والأمر لا يحتاج لإعمال أي تخييل، لندرك أنه يقصد أنا عليل، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، لِمَ لا يكون ذلك نسقاً لغوياً طبيعياً ونوعاً من الأداء اللغوي في اللُّغة نفسها؟"(١).

ولا نخالف رجاء عيد بأن ألم الشاعر كان كبيراً، وسرعان ما صدرت الإجابة مباشرة، لإبراز ذلك الألم، إضافة إلى أنها طبيعة فطرية منسجمة مع الأداء اللغوي في التمثيل على حالته بطريقة مباشرة وواضحة، إذا ما قسنا الجواب على أنفسنا في مثل تلك الحالة، وهو تعليل لا يختلف مع البلاغيين حينما قالوا: إن العقل يستطيع الوصول إلى المحذوف مباشرة، لأن إشارات وقرائن السؤال هي التي توصل لنا المحذوف، وبالتالي يصل العقل إليه.

ويرفض رجاء عيد ما يزعمه البلاغيون من أن حذف المسند إليه قد يكون للاختصار، ومنه قول الشاعر:(٢)

ومَنْ يكُ أمسى في المدَينَة رَحْلُهُ فَإنّي وقَيّارٌ بها لَغَريبُ

ويردّ عليهم بقوله : " ذلك الزعم تبسيط لا يتفق والبحث البلاغي، قد يكون الحذف –في رأينا– قد أدى إلى جمع ياء المتكلم والفرس، مما يوحي بأنهما إلفان بينهما تعاطف ومودة، وكأن الفرس يشعر بالغربة لشعور صاحبه بها، وتسمية صاحبه له باسم

---

(١) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، ص ٨١.

(٢) انظر كتاب سيبويه ٧٥/١، وصاحبه يدعى ضابىء البرجمي ولم أعثر له على ديوان، وانظر شاهد المغني، ٢٩٣، وشاهد الإنصاف رقم ٤٦. وجه الاستشهاد: حذف خبر المبتدأ الذي هو (قيار) لدلالة اسم إن عليه، والتقدير (فإني لغريب بها وقيار كذلك).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(قيار) كأن الشاعر بحسه العاطفي يؤنسنه وهو يؤدي إلى نوع من التوحيد العاطفي، وهو مشروع في العمل الفني بين الشاعر وحيوانه"[1].

أيُّ مشروع فني هذا الذي يريد الشاعر تطبيقهُ مع حيوانه؟ وأيّ توحد في العاطفة التي يزعمها (عيد)؟ وأيُّ تبسيط لا يتفق مع البحث البلاغي؟ أتبسيطه أم تبسيط البلاغيين؟ فلا أرى غير ما يراه الآخرون من أن المعنى قائم على حدث الغربة، في أن الشاعر غريب وفرسه كذلك، وما حُذفَ إلاّ لأن المعنى دُل عليه من الصياغة بقوله (لغريب) ولا داعي لتكرار اللفظ مرة أخرى، حتى لا يصير الكلام ركيكاً، فكان الاختصار والعلم به هو الداعي الذي أوْجَد الحذف.

ويستمر (عيد) في مخالفاته للبلاغيين، ليرى أن الجرجاني يحرص على زعم الحذف، وهو ما يدفعه إلى أن يخلط الجيد بالرديء[2]، كما في قول الشاعر[3]:

تثاءبَ حَتّى قُلْتُ: دَاسِعُ نَفْسِه وأَخْرَجَ أَنْيَاباً لَهُ كَالمَعَاوِلِ

والحذف في قوله :داسع نفسه، إذ الأصل: هو داسعٌ نفسه، إلاّ أن عيداً بعد أن اتهم الجرجاني بالخلط، يعود ليقول بأن الجرجاني يرجع إلى جيِّده حين يقول:"إنك ترى نصبة الكلام وهيأته تروم منك أن تنسى هذا المبتدأ، أو تباعده عن وهمك، وتجتهد ألاّ يدور في خلدك، ولا يعرض لخاطرك، وتراك كأنك تتوقاه توقي الشيء يكره مكانه، والثقيل يخشى هجومه"[4].

هذا الخلط الذي يفعله الجرجاني بين الجيد والرديء كما يشعر به (عيد)، هو تخبط وقع هو فيه، لأن الجرجاني يقول :"إذا أنت مررت بموضع الحذف منها، ثمّ فَلَيْتَ النفس عما تجد، وألطفت النظر فيما تحس به، ثمّ تكلف أن ترد ما حذف الشاعر، وأن

---

(١) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، ص ٨٣.

(٢) السابق، ص ٨٥.

(٣) انظر: دلائل الإعجاز، ص ١٥١، وصاحبه عبدالله بن الزبير، ولم أعثر له على ديوان.

(٤) دلائل الإعجاز، ص ١٥١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تخرجه إلى لفظك، وتوقعه إلى سمعك، فإنك تعلم... أن ربَّ حذف هو قلادة الجيد وقاعدة التجويد"[1]. فأي خلط وقع به الجرجاني بعد كلامه هذا؟ فقد أوفى الجرجاني في كلامه، ولم يدع مجالاً للشك، إلاّ أن (عيداً) لم يدرك حسن تبيين الجرجاني ولا روعة فصاحة كلامه.

ويرى رجاء عيد أن إيجاز الحذف الذي يقوم على حذف المفردات، والحرف، والفعل، وجميع التقسيمات التي ذكرها البلاغيون، يرى "أن الحذف فيها راجع إلى ثقة القائل في إدراك المتلقي للمعنى العام، وأن ما حذف لا يدخل في باب البلاغة"[2]، ويضرب على ذلك في بيت [3] امرىء القيس على حذف الحرف:

فَقُلْتُ يَمِيْنَ اللّهِ أَبْرَح قَاعِداً وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسي لَدَيْك وَأَوْصَالي

ويرى أن لا مدخل له في البحث البلاغي أو فنية العبارة، وإنما تحكم الوزن، والذي لا يضر نسق البيت لإدراكه من السياق العام. ويتساءل متعجباً عن الإيجاز الذي يكون في حذف الحرفن ويرى أن لا إيجاز فيه، وبذلك يقول:"كل ذلك لا يجدي في درس البلاغة، ومن الأفضل أن نعدّ ذلك كلّه أسلوباً يعتمد على اللمحة الدالة أو أسلوباً معتمداً على إشعاع السياق بالمضمون" [4].

صحيح أن ما يقوله (عيد) عن حذف الحرف بأنه لا مدخل له في البحث البلاغي ولا يمس إيجاز البلاغة بطرف، لكن ليس على الإطلاق، وإنما في بعض المواضع، غير أن هذا الكلام لا ينطبق على تقسيمات البلاغيين الأخرى، من حذف للمفردات أو للجمل، وصحيح أنه لا يكون الحذف أينما وجد ذا أثر في الدلالة، وإنما يعتمد على تشكيل المبدع في صياغة النص، لذا يرد البلاغيون هذه القضية إلى الدلالة وأثرها في المتلقي، وإذا افترضنا صحة كلامه على الحرف فليس بالضرورة انطباقه على الأقسام الأخرى.

---

(١) دلائل الإعجاز، ص ١٥١.

(٢) فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، ص ٩٢.

(٣) ديوان امرىء القيس، ص ٣٢.

(٤) فلسفة البلاغة، ص ٩٤.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

هذه المخالفات التي ساقها رجاء عيد، وهي قائمة على تفكيره في رد بعض مظاهر وتعليلات البلاغيين لبعض شواهد الحذف، لا تجعله مجدداً حتى لو علل شيئاً آخر غير تعليل البلاغيين، لأن المجدد هو من قتل التراث القديم درساً وتحقيقاً، واطّلع على مناهج البحث الحديثة، فأخرج لنا جديداً له صلة عميقة بالتراث القديم وارتباط عظيم بالحاضر الذي نحياه.

وإذا كان البلاغيون متفقين على أن الحذف واقعٌ في اللُّغة وذو أثر في الدلالة، فإن بعضهم لا يرى هذا المصطلح صفة للدال (المحذوف)، وإنما لمن يقوم بفعل الحذف (المتكلم)، والصفة التي يجب أن يستحقها الدال هي المنحذف.(١)

وعلى كلٍّ فإن للحذف أثره ودواعيه التي تنقل النص إلى الفكر وتغني الدلالة، لذا فإن له دواعي عامة وأخرى خاصة، أما الأولى فهي تتحقق في كل حذف، أي هي سمة مشتركة لأنواع الحذوف المتعددة، والأخرى ترتبط بالتعبير في نطاق وروده ضمن سياق خاص به، وهي دواع خاصة بموضع معين تختلف من سياق إلى آخر في الإيحاء، وقد بيّن عبد الغني بركة هذين النوعين بقوله : "أما عن الدواعي العامة وراء كل حذف، فتمثل في مزايا يحققها الحذف وتفوت مع الذكر، أهمها: وجازة العبارة وامتلاؤها، وتنقيتها من كل لفظ يمكن الاستغناء عنه واحترازاً عن العبث في الظاهر، ثمّ بناء العبارة على إثارة الحس والفكر والاعتماد على ذكاء المخاطب، وتنشيط ملكاته، وبعث خياله حتى يفهم بالقرينة جزء المعنى الذي لم يذكر لفظ دال عليه، ولا يخفى ما لذلك من وقع طيب في النفس، فهي تؤثر دائماً المعاني التي تُنال بعد تدبر وجهد في استجلائها"(٢)، وأشار إلى النوع الآخر بقوله :"أما النوع الآخر من دواعي الحذف وأسراره، فنذكر منها ألواناً تدل على غيرها لأن استقصاءها مستحيل، إذ تنبعث عن أحاسيس نفسية يحاول البليغ بتعبيره أن يلقي بها في نفوس الآخرين"(٣).

---

(١) البلاغة العربيّة قراءة أخرى: محمد عبد المطلب، ص ٢١٥.

(٢) مستتبعات التراكيب بين البلاغة القديمة والنقد الحديث، ص ٩٦، وانظر خصائص التراكيب: محمد أبو موسى، ص ٢١٣.

(٣) مستتبعات التراكيب، ص ٩٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هذه بعض دواعي الحذف، ومن أهمها الأثر النفسي، وهو ما أشار إليه المتقدمون في تعليلهم لبعض شواهد الحذف، وهو ما يجب أن يظهره المحدثون بدراساتهم، وبخاصة أنهم اطلعوا على دراسات علم النفس الحديثة، مما يعود على الموضوع بنتائج ذات أثر عميق، لأن التشكيل البلاغي في الحذف يتفاعل مع النواحي النفسية، ولعل مجيد عبد الحميد ناجي من أهم المحدثين الذين تعرضوا لأساليب البلاغة العربيَّة بالتحليل والعرض من هذا الجانب. فلا بد من الوقوف على طريقته لأنها تضيف شيئاً إلى دراسة الحذف.

ويتجلى البعد النفسي عنده في الإيجاز القائم على حذف جمل هي في الأصل جوابية، كجواب الشرط والقسم، كما يتجلى في الإيجاز القائم على حذف المفردات، وإنما كان الأمر كذلك، لأن حذف أعجاز الكلام مع المحافظة على سلامة النص من الخلل، والإبقاء على وحدته من شأنه أن يفتح مجال الاتساع أمام نفس المتلقي في تخيل الدلالة الإيحائية للألفاظ، وتصور المعاني المحتملة، والذي يؤدي بالتالي إلى تحقق الغرض الذي يرمي إليه المبدع في توكيد المعنى، وترسيخه في نفس المتلقي.(١)

ويستشهد (ناجي) على التوسع في الدلالة الإيحائية بجواب لو، كما في قولهم:(لو رأيت علياً بين الصفين) إذ تصير حيوية النص وقوته في التأثير في المتلقي واقعة في قدرته على الإيحاء للمتلقي بصور شتى لـ (علي)، وهو يقاتل بين الصفين. فالمبدع أراد من خلال هذا النص أن يجعل المتلقي يتسع في الصور التي يتخيلها لـ (علي) والتي يمكن أن يوحي بها النص بعد حذف جواب (لو) من شجاعة وإقدام ومروءة وشهامة، وما يحدثه في نفس أعدائه من رعب وفزع، وما يفعل من الأعاجيب، وهذا لا يوافق المتلقي لو لم يكن هناك حذف، لأنّه يقتصر على المذكور فقط، وذلك لأن نفس المتلقي مع الحذف تتسع في الظن والحساب.(٢)

ويتضح من الإسقاط المتعمد للكلام، أنه يثير في نفس المتلقي انفعالات مختلفة لا يثيرها غيره، لأن الخيال النفسي يأخذ بتوسع الصور المجهولة، فتتعدد المعطيات لديه،

---

(١) انظر: الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربيَّة: مجيد عبد الحميد ناجي، ص ١٣١.

(٢) انظر: السابق، ص ١٣١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وتكون ركيزتها على الدلالة ثرّة. فتعدد الدلالات قائم على تعدد الأذواق، وهذا يعني أن أذواقاً متباينة قد تتدخل في نسق حذفي ما لتخرج المقدّر بعد أن أمعنت وأغرقت التفكير، لاستنتاج مقدّر يليق بالسياق المطروح، ومليباً لحاجة النفس الباحثة، وهو ما شكله إسقاط بعض عناصر الكلام في الجملة، وبالتالي يعود على الإيحاء بالتوسع والتشعب ليمتد إلى ما لا يستطيع بعض المتلقين الوصول إليه.

ولعل حذف بعض مفردات الكلام يتجه أثرها توجّهاً آخر غير التوسع في الإيحاء، توجّهاً يقوم على الصياغة، ذلك بأنها توجه الانتباه على الحدث دون سواه، لأن المراد لفت النظر إليه. وهو ما أشار إليه الجرجاني[1] بتعليله للحذف القائم على أربعة مواضع في قوله: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ...﴾ (القصص ٢٣، ٢٤).

وهو ما يكون في الأغلب لحذف المفعول به حيث تحس النفس بالإيناس والارتياح. وكذلك الشأن في الايجاز القائم على حذف الفاعل أو المضاف إليه، فإنّ من أهم الأبعاد النفسية التي يرمي المتكلم إلى تحقيقها والوصول إليها، هي تركيز انتباه المتلقي على الحدث بغض النظر عمن يقع عليه أو يصدر عنه، إذا كان هو المقصود بالذات، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (الروم ٤) ففيه حذفٌ للمضاف إليه في موضعين، إذ التقدير: من قبل ذلك ومن بعده.

ويعلق مجيد عبد الحميد ناجي على هذه الآية بقوله :"إذ المهم في هذا النص القرآني الكريم إثبات السرمدية والأبدية لسلطان الله سبحانه وهيمنته، فكان من الضروري حذف المضاف إليه، وهو هنا البارىء سبحانه، ما دام معلوماً متعيناً يدل عليه سياق النص، وذلك من أجل تركيز انتباه المتلقي على سرمدية سلطان الله سبحانه وديمومته المستفاد من القَبْلية والبُعْدية المطلقتين، ولفت ذهنه إليهما وإعطائهما أبعاداً

(١) انظر، دلائل الإعجاز، ص ١٦١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أعمق في أغوار نفسه، بحيث لا يشغله عن التأمل فيهما أو يقطعه عليه ذكر المضاف إليه"[1].

وفي الوقت الذي يركز فيه على الحذف فإنه يدفع توهم غير المراد، ذلك أن المحذوف هنا يدفعنا لتأمل الموجود الذي من خلاله نستطيع الوصول إلى قيمة الإسقاط وفائدته، وتوجيه الفكر نحو قضية أبلغ، يدفعنا لأن يكون الحدث هو المحور الذي يدور حوله تفكيرنا وهو بذلك يسقط تشتت التفكير عندها يلعب الحذف دوره الفعّال في الوصول إلى الدلالة التي يجب أن نصل إليها بتوجيه الفكر نحوها دون التباس بغيرها.

ودلالات الحذف النفسية أوجدها المتقدمون، وكان الجرجاني رائدهم، حتى أن المتأخرين منهم لم يتوصلوا إلى تلك الدلالات، وفيهم يقول فضل عباس:" وما ذكره المتأخرون، فإنه في ظني يبعد القارىء عن الأهداف النفسية، والأغراض العقلية التي تحسن الحذف وتؤكده"[2]، ويقول إذا قارنا هذا الذي جاء به المتأخرون مع ما ذكره الجرجاني"سنجد البون الشاسع،وسنحاول أن نسلك به مسلكاً نستطيع أن نتذوق به –إن شاء الله – حلاوة هذا الموضوع ونقف على ما فيه من سرٍّ بياني وروعة بلاغية، ونقرر لك أولاً أنه يجمل الحذف كلما أوجدنا أنفسنا بغنى عن الكلمات المحذوفة، وكلما كنا أكثر استغناءً عن الكلمة كان الحذف أكثر جمالاً"[3].

ولا خلاف على أن هذه الإشارات استخدمها المتقدمون من البلاغيين، واستطاعوا أن يُلْمِحوا إلى وجود أثرها في النص الذي تدخل فيه، غير أن ما يجب أن يتطرق له البلاغيون المحدثون ليس هو شكلية المستوى النفسي السابق، وإنما الولوج إلى التقاسيم النفسية بصورة أعمق عند تحليل النصوص.

ويبدو أن حديث البلاغيين عن الحذف جاء من زاوية وقوعه على المحذوف، دون النظر إلى تراكيب النص الآخرى، غير أن هناك من المحدثين من تنبه إلى هذه

(١) الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربيّة، ص ١٣٨.
(٢) البلاغة فنونها وأفنانها، ص ١٩٥.
(٣) السابق، ص ١٩٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الناحية وحاول أن يربط الحذف بأساليب التراكيب على مستوى السياق، بمعنى أن أثر المحذوف يتفاعل مع تراكيب النص ليظهر دلالته بشكل قوي، ويبحث في أثرها الأسلوبي الشامل على مستوى النص كله، وعلى ذلك قوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْـِٔدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ (الهمزة، ١-٩).

يوضح سعد أبو الرضا أثر الحذف هنا مع تراكيب النص في النسق كله بقوله: "هنا تبدأ السورة بهذا الإنذار الرهيب (ويل) لذلك الشخص العيّاب للناس الكثير السخرية منهم بحركاته، المستهين بالأقدار، وقد أوتي المال فاستهواه جمعاً وعداً، حتى ليظن أن المال سوف يخلّده، ويدفع عنه الموت والعذاب، من ثمّ يكون هذا الرفض الزاجر الرادع لكل ما سبق، والإنكار الشديد في هذا المسلك في (كلا) مرتبطاً بما ينتظر صاحبه من عذاب شديد، ألا وهو التحطيم لكيانه وكبريائه، وقد تروى منبوذاً في نار جهنم، وهنا يكون النسق القرآني قد تصاعد مصوراً هول المصير تصويراً لا حدود له من خلال الربط بين ما سبق وهذا الاستفهام (وما أدراك ما الحطمة؟) وهو استفهام موحٍ بتجاوز العذاب والتحطيم لحدود التصور، ومن ثمّ لا بد من حذف المسند إليه في جواب هذا الاستفهام، ليكون الرد متناسقاً مع هذا التصعيد للعذاب، فيكون مباشرة هو نار الله الموقدة"(١).

فارتباط الحذف بغيره من التراكيب على مستوى النص كله يجعله قادراً على الكشف عن ثراء الدلالة وتوضيح النسق الشامل للتركيب، لأن البنى والأساليب تتصاعد معاً لتكثف المعنى، وتعزز من القدرة الإيحائية للنص، وهذا ما أظهره لنا (أبو الرضا) في تحليله للآيات القرآنية عند عرضه للتركيب كله، وقد عرض أمثلة عديدة على هذا النوع نذكر منها أن ثمة أثراً دلالياً يمكن أن يحققه حذف المسند إليه متآزراً مع غيره من الوسائل التعبيرية كما في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ﴾

(١) في البنية والدلالة، ص ١١٦.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

﴿الجمعة ١٠﴾ أي قضيتم الصلاة، فيقول أبو الرضا: "ليس الحذف هنا فقط للاختصار، والعلم به لأن السياق يدل عليه، من ثمّ يكون ذكره عبثاً يطيل الكلام دون فائدة كما يرى بعض البلاغيين، لكن للعبارة دلالة أخرى زائدة تتمثل في توجيه المتلقي إلى فكرة السعي، والانتشار في الأرض فور أداء الصلاة، لطلب الرزق"(١).

وفي كل النماذج التي عرضها (سعد أبو الرضا) على هذه الطريقة في التحليل يرى أن المتأمل يدرك القيمة الفنية للحذف، لا سيما بعد ارتباطه بعلاقات دلالية مع تراكيب أخرى في النسق الواحد، لأنّه يضاعف إدراك المتلقي بالفكرة.

وفكرة الحذف قائمة على المجاز الذي توحيه بنيته العميقة في نفس المتلقي، لذا يُرى بأن الحذف يرتبط ارتباطاً وثيقاً مع المجاز المرسل في بعض علاقاته، ويمكن تفسير بعض هذه العلاقات على أنها إيجاز بالحذف، وعليه قول الجرجاني: "واعلم أن الكلم كما توصف بالمجاز لنقلك لها عن معناها كما مضى فقد توصف به لنقلها عن حكم كان لها إلى حكم ليس هو بحقيقة فيها، ومثال ذلك أن المضاف إليه يكتسي إعراب المضاف في نحو، ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ (يوسف، ٨٢) والأصل: واسأل أهل القرية"(٢).

غير أن مهدي السامرائي(٣) يرى أن هذا المجاز القائم على الحذف يرجع في طبيعته إلى قاعدة النقل والعلاقة والقرينة، لأن القرية هنا لا تُسأل، وبالتالي يرى عدم فصله عن المجازات المرسلة، وكأنه مستقل عن غيره. لكن إذا كانت هذه المجازات في معظمها قائمة على إيجاز الحذف فلماذا لا تسند إليه وتؤول عن طريقه؟ "ما دام من الميسور في معظم الحالات ترجمة المجاز المرسل إلى عبارة أخرى تضاف إليها،

---

(١) في البنية والدلالة، ص ١٢٣.

(٢) أسرار البلاغة، ص٣٦٢.

(٣) انظر، المجاز في البلاغة العربية، ص٩٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فحسب الصيغة التي تدل على العلاقة المشار إليها فلا مانع عندئذٍ لدى بعض العلماء من اعتباره مجازاً بالحذف من الوجهة الوظيفية"[١].

وقد نجد في تحليلنا لبعض أشكال المجاز المرسل باعثاً على الحذف والإيجاز كما في قولنا :(رعينا الغيث) فقد وضع السبب مكان المسبب بحذف عبارة (النبات الذي سببه)، والمكان موضع المحتوى كـ(شربت كوباً) أي ماء الكوب والحالُّ مكان المحلّ مثل: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ (العلق ١٧) أي أهل ناديه، وعليه يمكن تفسير كثير من نماذج المجاز المرسل على أنه مجاز بالحذف[٢].

ولا يَظْهر مجاز الحذف بوضوح -كما يقول صلاح فضل[٣] – في جميع أحوال المجاز المرسل، لأن تغيير العلاقة في بعضها يمس الصلة بين الكلمة والشي الذي تعبر عنه، ولا يقتصر أثره على صلة الحذف بين الكلمات نفسها.

وعندما نقول إن الحذف يعود إلى الإيجاز لا يعني أنه يعود كما يقول (بالي) إلى الكسل في التعبير كمظهر للكسل في التفكير، بل قد يعود إلى عناية المتحدث بإضفاء طاقة تعبيرية هائلة، باعتباره ذروة الإصابة في الأداء اللغوي[٤].

والحذف عمليات جوهرية يتضمن تصوراً آخر للتركيب باعتباره تحولات أو انحرافات تصيب السياق، وتثير المتلقي، وهي ما يعمد إليها الشاعر، لأنها تعمد إلى أسس جديدة في البلاغة العربيَّة[٥]. والحذف أسلوب من أساليب الشاعر في بناء القصيدة لأن إيحاءه يتطلب منه أن لا يصرح بكل شيء حتى تكتنز الأبيات، وهو أسلوب بلاغي

---

(١) علم الأسلوب: صلاح فضل، ص٢٥٢.

(٢) انظر، السابق،ص ٢٥٢.

(٣) انظر، السابق، ص ٢٥٢.

(٤) السابق، ص ٢٥١.

(٥) بلاغة الخطاب، وعلم النص: صلاح فضل، ص ٨٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

قديم يلجأ إليه الشعراء استغلالاً لطاقاته التعبيرية، وإمكاناته الإيحائية وللنظر مثلاً قول أمل دنقل[1]:

صبياً كان
شددت على يديه القوس
أعلمه الرماية
(كي يفوق بقية الأقران)
"فلما اشتد ساعده..."

حُذف جواب الشرط هنا وهو (رماني) وقد دل على حذفه علامة الحذف (النقط)، ولا سيما أنه موروث شعري مشهور. ويحلل مصطفى السعدني هذه الأبيات مشيراً إلى أثر الحذف فيها بقوله :"ورد في الفقرة السابقة هذا التضمين التراثي (فلما...) ولم يذكره الشاعر كاملاً إذ حذف جواب الشرط (رماني) وقد جاء هذا الاستدعاء لمشابهة في الموقف، إذ كان الحب لدى الشاعر صبياً، وما فتىء أن تربى وقوي عوده، واكتمل نضجه حتى هصر صاحبه بنفس الخيرات التي أعطاها إياه، لأن هزيمة الشاعر أمام قلبه وأمام الحب غير متوقعة، فمن أحسن معاشرته ورعايته فقد أعياه الألم، ولم يقدر على النطق بحقيقة المأساة (رماني) فتم الحذف، وكان هذا الحذف غياباً لأبعاد المأساة، ولكن عدم ذكرها استدعى عن طريق تنشيط الخيال الصور المختلفة لجواب الشرط"[2].

فالجملة إذا نظمت على الأصل يكون لها حقائق عادية، وهي غالبية الجمل وجسمها الأكبر، فالجملة الفعلية مثلاً إذا نظمت على الأصل: فعل ← فاعل ← مفعول به، يكون لها حقيقة عادية، أمّا إذا خالفت الأصل بتقديم أو تأخير أو حذف، يكون هذا الخروج لأغراض معنويّة وفوائد جديدة غير الحقائق العادية.[3] وهي الحقائق التي

---

(١) الأعمال الشعرية الكاملة: أمل دنقل، ص ٦٠.
(٢) البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث، ص ١٤٠.
(٣) انظر، دعوة النّحو العربي الأصيل (النّحو والمعنى): كامل جميل ولويل، ص ٢١٢.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

يدفعنا الشاعر إلى تأملها في نصه الشعري، لأن إسقاط بعض عناصر البناء اللغوي يغني الإيحاء وينشط خيال المتلقي، ومن ذلك قول النابغة[1] في رثاء حسن بن حذيفة:

يَقُولُونَ حِصْنٌ ... ثُمَّ تَأْبَى نُفُوسُهُمْ ... وكَيْفَ بحصن والجِبَالُ جُنُوحُ
ولَمْ تَلْفِظِ الأَرْضُ القُبُورَ، ولَمْ تَزلْ ... نُجومُ السَّماءِ والأديمُ صَحِيحُ
فعَمَّا قليلٍ، ثُمَّ جَاشَ نعيُّهُ ... فَبَاتَ نَديُّ القومِ وهو يَنُوحُ

فالشاعر في البيت الأول استغل الحذف بشكل بارع، استطاع بوساطته أن يظهر استفظاع الناعي لهذا الخبر الناجع الذي يحمله، بل إنه يستنكر هذا الحدث (أن حصناً قد مات) لأن الجبال لا تزال ماثلة، والكون لم يتغير و...، وهي تضاعف الإيحاءات، لأن خبر المبتدأ (حصن) قد حُذف[2].

والحذف تتعدد جوانبه الإيقاعية، وكما تقول ابتسام حمدان بانه يترك "أثراً كبيراً في الحد من طول العبارة بما يتناسب والدفقة الشعورية من ناحية، وبما يتناسب والإيقاع الشعري من ناحية أخرى...، مما يخلق تناغماً سياقياً مع النسق التركيبي الذي يتضمنه"[3].

وهو أسلوب بليغ يثير فكر المتلقي حول الموضوع، وما ارتبط به من علاقات دلالية، فيزيد إحساس المتلقي بالفكرة وما توحي به من معان في أبعاد النص كله، فاستخدامه في الكتابة يعني أن المبدع لا يقف عند إشارية اللُّغة الواضحة، وإنما يدعو المتلقي لأن يحرك فكره وذوقه في استنباط المحذوف بإثارة البنى الخفية للنص، والتي تعتمد على براعة المتلقي في معاينة النصوص، والإبحار في معان النص المكثفة، وهذا ما يعطي النص إغلاق المعنى والفكر.

---

(١) ديوان النابغة الذبياني، ص ٤٦.
(٢) انظر، عن بناء القصيدة العربيّة الحديثة: علي عشري زايد، ص ٥٨.
(٣) الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي، ص ٢٢١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والتعامل مع هذا الأسلوب يلجأ إليه الشعراء في نظمهم للنصوص الشعرية، لأن الطاقة المؤثرة تكون في التركيب الخفي، الذي يحتاج إلى حسن القراءة والتدبر، ومن هنا فإن اللُّغة الشعرية المجازية تختلف عن اللُّغة المعجمية المعيارية.

وأسلوب الحذف من أساليب العربيَّة التي سار عليها القرآن الكريم فكان حافلاً به، دافعاً للبحث والتأمل. ويغدو الحذف أساساً لمن أراد أن يتخذ أساليب العربيَّة في كتاباته ولا سيما البلاغيين منهم.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الفصل الثاني:

"الدراسة التطبيقية"

بلاغة الحذف في سورة البقرة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الأول:

حذف الاسم وتفسيره عند النحويين والبلاغيين

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حذف الاسم:

الحذف أحد العوامل التي تؤثر في المعنى. وحذف الاسم هو نوع من الحذف الذي يعتري التراكيب الإسنادية، إذْ يكون العنصر المحذوف اسماً يستغنى عنه بالقرينة الدالة عليها، وبشروط مخصوصة، وبعض التراكيب يرد الحذف فيها بكثرة، وبعضها الآخر يقل أو يمتنع.(١)

فاللفظ وضع بإزاء المعنى، فإن فهم المعنى من السياق جاز الاستغناء عن اللفظ. وعن الحذف في اللُّغة الإنسانية يؤكد تشومسكي أنَّ هناك جانبين لا مناص من الاهتمام بهما معاً لفهم اللُّغة، الأول: هو الأداء اللغوي الفعلي (Performance)، وهو الذي يمثل ما ينطقه المتكلم فعلاً، أي يمثل البنية السطحية للكلام الإنساني، وأما الجانب الثاني فهو الكفاءة (Competence)، وهي التي تمثل البنية العميقة للكلام.(٢) والنحو عنده لا بد أن يهتم بالحدس (Intuition) لأنّه ليس آلة تصوير أصواتٍ، وفقاً لعوامل خارجية، وإنما هناك هذا الشيء الداخلي، الذي جعله يتحرك، وهو متحرر من هذه العوامل. فالحدس ليس عنصراً ثانوياً في الدرس اللغوي، وإنما هو عنصر جوهري.(٣)

وسنحاول تناول أنواع الحذف ومواضعه التركيبية في الاسم في سورة البقرة تبعاً لكثرة حذفه فيها:

حذف المسند إليه (المبتدأ)

المسند إليه أحد ركني الجملة الاسمية، بل هو الركن الأقوى، لأنّه الذات المُتَحَدَّث عنها، والمسند كالوصف له، والذات أقوى في الثبوت من الوصف. وإذا كانت الإفادة تفتقر إلى الركنين، فإنَّ افتقارها وحاجتها إلى الدالّ منهما على الذات الثابتة أشد في الحاجة عند قصر الإفادة من الدالّ على الوصف العارض.(٤)

---

(١) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: طاهر حمودة، ص ١٧٨.

(٢) النّحو العربي والدرس الحديث: عبده الراجحي. ص ١١٥. وانظر، جوانب من نظرية النحو: نوم تشومسكي، ترجمة مرتضى باقر، ص٢٨.

(٣) السابق، ص ١١٨. وانظر: جوانب من نظرية النحو، ص٣٢.

(٤) علم المعاني: عبد العزيز عتيق، ص ١٣٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولقد حذف العرب المبتدأ من كلامهم حيثما رأوا ذلك مناسباً للمعنى الذي يرمون إليه، وكان ذلك وفق قواعد وأصول بيَّنها النحاة فيما بعد استنباطاً من كلام العرب، فحددوا مواضع الحذف، وبينوا أسبابه البيانية ووضعوا لها قواعد وحدوداً لا ينبغي تجاوزها، فكانت مواضع الحذف الجوازية، ومواضع الحذف الوجوبية.(١)

فمن مواضع الحذف الجائز التي اتفق النحاة عليها: أنه يكثر حذف المبتدأ في جواب الاستفهام، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ (القارعة ١٠١) أي: هي نارٌ، كما يحذف بعد فاء الجواب كقوله تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ﴾ (فصلت ٤١) أي فعمله لنفسه، وبعد القول نحو ﴿قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ (النحل ٢٤) أي هو، وقيل بعد إذا الفجائية نحو: خرجت فإذا السبع.(٢)

أما المواضع التي يرى النحاة أنَّ المبتدأ يحذف فيها وجوباً(٣) فهي:

أولاً: النعت المقطوع إلى الرفع في مثل قولهم: الحمدالله ربُ العالمين، برفع (ربٌ) باعتباره خبراً لمبتدأ محذوف، أي: هو ربُ العالمين، وفي مثل قولهم: اللهم ارحم عبدك المسكينُ برفع (المسكين) أي هو المسكين، وهذا كله بغرض المدح أو الذم أو الترحم.

ثانياً: مخصوص نعم وبئس: وهو الاسم الخاص المعين المذكور بعد الاسم العام (فاعلهما) نحو قولهم: نعم العبد المؤمن اتقى ربّه (فالمؤمن) مخصوص نعم، وفاعلها هو (العبد)، ويذكر المخصوص، ليحدد المقصود بالمدح أو الذم. ولقد خضع إعراب المخصوص لتوجيه العامل: فمرة هو مبتدأ مؤخر، وجملة المدح أو الذم قبله خبر مقدم، ومرة هو خبر لمبتدأ محذوف.

---

(١) بناء الجملة في المعلقات السبع: فريد العمري، ص ٢٣٥.

(٢) همع الهوامع في شرح جمع الجوامع: السيوطي ٣٨/٢، وانظر: أوضح المسالك: ابن هشام ٢١٦/١، وانظر ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: طاهر حمودة، ص ١٧٨.

(٣) انظر، أوضح المسالك: ابن هشام ٢١٧/١، وانظر، همع الهوامع: السيوطي ٣٩/٢. وانظر، النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم: محمد صلاح الدين بكر ١٠٦/٢، وانظر، ظاهرة الحذف، ص١٨٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ثالثاً:- الخبر الصريح في النص على القسم: قال النحاة: إن كان صريحاً في النص على القسم وجب حذف المبتدأ كما في قولهم: في ذمتي لأؤدين الواجب، بحياتي لأدافعن عن الوطن، والمقصود عندهم في ذمتي (يمين أو عهد أو قسم أو ميثاق) إلى آخر المحذوفات التي قدروها لتناسب المقام.

رابعاً: الخبر المصدر الذي جيء به بدلاً من اللفظ بفعله: فهم يرون أن المصدر يؤدي معنى فعله، فيحل محله، ويؤدي غرضه، كما في قوله تعالى: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ﴾ (يوسف ١٨)، يقولون إن (صبر) خبر مبتدؤه محذوف وجوباً، ويقدرونه حسب المقام، أي: أمري صبرٌ جميل.

خامساً: الابتداء بالاسم المرفوع بعد (لا سيما) حيث يجوز أن يَرِدَ الاسم بعدها مرفوعاً، فإذا كان كذلك، فهو خبر لمبتدأ محذوف وجوباً.

وحذف المسند إليه يتوقف على أمرين، أحدهما: وجود قرينة تدل عليه عند حذفه، والآخر: وجود المرجح للحذف على الذكر. فالأول – وهو وجود القرينة الدالة على المسند إليه عند حذفه – فمرجعه إلى علم النَّحو، أما الثاني: وهو المرجح لحذفه على ذكره فمرده إلى البلاغة. ومعنى ذلك أنّ دواعي بلاغية ترجح حذفه، وفيما يلي أهمها[1] ليكتمل الكلام عن المسند إليه:

أولها: الاحتراز من العبث بترك ما لا ضرورة لذكره، وذلك يكسب الكلام قوة وجمالاً، وذكر المسند إليه في الحقيقة ليس عبثاً، لأنّه ركن للإسناد، ولكن المراد بـ (الاحتراز من العبث)، أنّ ما قامت عليه القرينة وظهر عند المخاطب يُعدُّ ذكره عبثاً من حيث إنه يقلل قيمة العبارة بلاغياً، ويكثر حذفه لهذا الغرض في المواطن الجوازية لحذفه.

ثانيها: ضيق المقام عن إطالة الكلام، إما للتوجع وإما لخوف فوات الفرصة، فمن التوجع قول الشاعر:

قالَ لي: كَيْفَ أَنْتَ؟ قُلْتُ: عَلِيلٌ سَهَرٌ دَائِمٌ وحُزْنٌ طَوِيلٌ

---

(١) علم المعاني: عبد العزيز عتيق، ص ١٣٣ وما بعدها، وانظر، أساليب بلاغية: أحمد مطلوب: ص ١٦٢-١٦٣.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ومن أمثلة حذف المبتدأ لضيق المقام من خوف فوات الفرصة، قولك عند رؤية نار تنبعث فجأة من منزل مجاور: حريق، تريد: هذه حريق.

ثالثها: تيسير الإنكار عند الحاجة إلى الإنكار، فقد تجد مواقف يصرح فيها المتكلم بذكر شيء، ثمّ تدعوه اعتبارات خاصة إلى إنكارها، ومثال ذلك أن يُذكر شخص فتقول (فاسق)، فتخشى منه فتنكره، فلو قلت: (زيد فاسق) لقامت البينة، ولم تستطع الإنكار.

رابعها: تعجيل المسرة بالمسند، كقولنا: أخي، أي: هذا أخي، وكأن يُلوِّح شخص بكأس فاز بها في مسابقة قائلاً: جائزتي، يريد: هذه جائزتي.

وبعد أن تعرضنا لمواطن حذف المبتدأ ودواعيه البلاغية، نتوقف عند حذفه في سورة البقرة محللين مواضع الحذف فيها، وملتفتين إلى قيمة الحذف، كونه عنصراً من عناصر التعبير والإفادة، وعنصراً من عناصر التحويل، وفيه يقول خليل عمايره: "ونقصد بالحذف عنصراً مهماً من عناصر التحويل، نقيضاً للزيادة عنصراً من عناصر التحويل، فكما أن الزيادة هي أية زيادة على الجملة التوليدية النواة لتحويلها إلى جملة تحويلية، لغرض في المعنى، فإن الحذف يعني أي نقص على الجملة النواة التوليدية الاسمية أو الفعلية: لغرض في المعنى"(١).

فالجملة الاسمية المكونة من المبتدأ والخبر تخضع لعملية الحذف، وصولاً إلى غرض في المعنى يتحقق به. ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة ٢).

فالنص لا يمكن أن يفسَّر دلالياً بمعزل عن التركيب، وفي هذه الآية يبدو حذف المبتدأ واضحاً، وهي البنية العميقة للنص، والحذف هو التحول الذي أصاب هذه البنية، ففي قوله تعالى :" هدى للمتقين" والأصل فيها: (هو هدى للمتقين) وجاء هذا البعد للتركيب، بياناً لِمَاهِيَّة الكتاب الذي أُنزل بأنّه لا ريب فيه من جهة، وأنّه هدى للمتقين من جهة ثانية، فحذف المسند إليه هنا جاء بسبب من (الهدى) الذي هو خبر له سد مسده، فأصبح الكلام بوعي المتلقي يقيناً لا داعي لذكر المبتدأ فيه لقوله "ذلك الكتاب".

---

(١) في نحو اللُّغة وتراكيبها، ص ١٣٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فتركيب النص هو الدال على المحذوف، وتقدير الكلام على أنَّ المسند إليه محذوف، تركيب شامل لمعنى الهداية المتضمنة للكتاب، والموحية بكليتها تجاه الهداية، فاقتضى بعداً في الوعي أعمق.

وما الحذف إلاّ بعد خفي لبنية التركيب دعت إليه الضرورة الملحة، لإبراز الفكر في معاينة النص، تتبع من نقص حاصل للجملة الاسمية التي بها يكون التفكير في البنية الأولى على أساس من الانطلاق والحرية في التفكير، وما ينجم عنه من انطلاق وحرية في التقدير.

ويحذف المبتدأ هنا، لأنَّ ذكره يبعث في النفس السأم، لشدة وضوحه، بسبب قرب الحديث عنه، كما تحس بذلك. أَوَلا ترى أنَّ في ذكر الضمير العائد على الكتاب قلقاً لشدة قرب الكتاب الماثل أمام النفس؟[1]

وعن تماسك النسق التركيبي للآية يرى الزمخشري[2] أنَّ محل (هدى للمتقين) الرفع، لأنّه خبر مبتدأ محذوف، فقد نبه الله تعالى على أنَّه الكلام المتحدى به، ثمّ أشير إليه أنّه الكتاب المنعوت بغاية الكمال، ثمّ نفى عنه أن يتشبث به طرف من الريب، فكان شهادة وتسجيلاً بكماله، ثمّ أخبر عنه بأنه (هدى للمتقين) فقرر بذلك كونه يقيناً لا يحوم الشك حوله، وحقاً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، فكان تعاضد النسق اللغوي مُكَمَّلاً بالحذف.

واتصال الآية السابقة بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ﴾ (البقرة ٣) يُظهرُ حذفاً آخر للمسند إليه، لأنَّ المتقين الذين وقعت عليهم الهداية هم الذين يؤمنون بالغيب، فكان حذف المبتدأ على تقدير (هم الذين يؤمنون) والضمير عائد على المتقين، وإنَّما حدث الحذف هنا لدلالة الآية السابقة عليه، ولبعث

---

(١) من أسرار البلاغة في القرآن: محمود شيخون، ص ٣٥.

(٢) الكشاف ٧٨/١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

الدافعية على أن يكون الإنسان مؤمناً بالغيب ومقيماً للصلاة، وينفق مما رُزق ليكون بذلك مؤمناً.

وأحوال حذف المسند إليه ومقاماته الداعية إلى ذلك ليس من الممكن أبداً أن تُستقصى، لأنَّ الدواعي أحوال تنبعث من النفس ومن النص ولا يمكن حصرها، ففي قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (البقرة ١٨) حُذف المبتدأ، لأنَّ الحديث عن المنافقين الذين أخبر الله تعالى عنهم بأنهم (صم بكم عمي) وهي أخبار متتالية مترابطة معاً أظهرت صفاتهم، فكان حذفه صيانة للسان عن التلفظ به، فغيابه على المستوى الشعوري أمرٌ لا بد منه، لأن من كانت هذه صفاته لا يحسن وروده في النص القرآني، ولا يفضل تكراره على ألسنة القرّاء، فالحذف في مثل هذه المواطن أولى، ولا سيما أنَّ هذه الأخبار محصلة عرض مستفيض للكافرين، وهي موحية بالمحذوف.

فرفع (صمٌ بكمٌ عميٌ) "على إضمار مبتدأ تقديره (هم صم)، وهي أخبار متتابعة في اللفظ والدلالة الوضعية لكنها في موضع خبر واحد، إذ يؤول معناها كلها إلى عدم قبولهم الحق، وهم سمعاء الآذان، فصح الألسن، بصراء الأعين، لكنهم لم يصيخوا إلى الحق، ولا نطقت به ألسنتهم، ولا تلمّحوا أنوار الهداية فيه، فوُصِفوا بما وُصِفوا به من الصم والبكم والعمى" (١).

وقد حُذف المبتدأ تحقيراً وتصغيراً لشأن المحذوف، يقول حسين الدراويش: "وما نلمسه في تركيب الجملة الخبرية، إذ جاء تركيبها على طريقة التشبيه البليغ الذي فيه تعريض بالمنافقين وتحقيرٌ لشأنهم، وقد يكون حذف المسند إليه هنا من أسباب هذا التحقير الذي يدل على طي ذكرهم جملة وتفصيلاً،... والصمم والعمى والبكم من أظهر صفاتهم الدالة على سوء سريرتهم، وعمي بصيرتهم، لذا طوى الله – جلت قدرته – ذكرهم تحقيراً لهم، وأبقى وصفهم السيئ، تبكيتاً لهم وتعريضاً بهم ليعتبر الناس من أحوالهم ويسارعوا بالتوبة إلى بارئهم"(٢).

---

(١) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي ، ٢١٦/١.

(٢) النظم القرآني في سورة البقرة، ص ٩٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أما قوله تعالى : ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَٰلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ﴾ (البقرة ٦٨) .

فقد جاء السياق على حذف المبتدأ في قوله :" لا فارض ولا بكر عوان"، ليتوافق مع النص كله، حيث ذكر المسند إليه وهو البقرة، فما كان بدّ من أن يحذفه مراعاة للاختصار، ومنعاً للتكرار، لأن بذكره يصبح الكلام ركيكاً، فحُذِف تقوية للأسلوب وإظهاراً للخبر ليتم التركيز عليه "لا فارضٌ ولا بكرٌ عوانٌ"، وهي الأخبار التي تدعو الآية إلى إظهارها، فكان التعجيل بذكرها على غياب المسند إليه، لأنّه أصبح معروفاً كونه محط الآيات السابقة ونواتها، وعليه يدور الحدث، وما الأخبار المظهرة هنا إلاّ بيانٌ لذلك الحدث.

وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا﴾ (البقرة ٧١) جاء حذف المبتدأ بقوله : "لا ذلول" إذ تقديره (لا هي ذلول) فحذف المسند إليه وأظهر خبره، وهو (لذلول)، ليجذب انتباه السامع بهذا الخبر، فهو يمثل ثقل الآية، وحذفه لا يخالف التراكيب النّحويَّة، لأن القرينة الدالة على حذفه واضحة بقوله "إنها بقرة لا ذلول"، فكان حذفه بدليل إشارة الآية إليه، وهو أمرٌ متحتم على السياق، لأن التراكيب اللغوية تتعاضد ليتصاعد النسق اللغوي. ولا تكون الدلالة على ذلك الاختصار فحسب، وإنما الدافع إلى ذلك ما تفرضه التراكيب اللغوية من التركيز على عنصر وترك الآخر، لاعتبارات يريدها المنشيء أحياناً، ودواعٍ يقدرها المتلقي أحياناً أخرى.

ومثل ذلك قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾ (البقرة ١١٧) فقد حُذف المبتدأ في قوله تعالى :"بديع السماوات والأرض" إذ تمكن الخبر وهو (بديع) من وصف المبتدأ مما أغنى عن ذكره، فكان مدعاة لحذفه، والتقدير في ذلك: هو بديع. والإشارة إلى الحذف قوله تعالى السابق: "وقالوا اتخذ الله ولداً" فلا يختلط الذهن هنا في فهم المعنى، سواء ذكر المبتدا أو حذف، وإنما وقع

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الحذف تمشياً مع الصياغة التي تحتاج إلى حذفه، حتى لا يصير الكلام باعثاً على التكرار الذي يستغنى عنه، ولأن الحذف هنا أفاد التعظيم، فالبديع هو الذي يبدع الأشياء وينشئها على غير مثال مسبق.

ويتسع حذف المبتدأ في القرآن الكريم ليشمل آيات عديدة تتباين الدوافع وراء كل حذف وفق خصوصية النصوص، ففي قوله تعالى: ﴿الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ (البقرة ١٤٧) يحتمل أن يكون الحق خبرَ مبتدإٍ محذوف، أي هو الحق وإذا كان كذلك، كان حذف المبتدأ هنا مشيراً إلى أنَّ كل ما ذُكر سابقاً من الآيات هو من ربِّ العالمين، ووصف بأنه الحق، فكان (الحق) هو الخبر الذي وصف به المبتدأ المحذوف العائد على الأحداث السابقة. وإذا ما جعلنا المبتدأ محذوفاً كانت الآية "الحق من ربك فلا تكونن من الممترين" مقررة لأمرٍ مفاده أنَّ الحق من الله، إلاّ أن الحذف يؤكد خصوصية الخبر بالأحداث السابقة، وهو أقوى من التعميم هنا لأن دلالة النص ذات إطار ضيق معتنية بمن يأتيهم الكتاب.

أما قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة ١٥٤) حُذف المبتدا وتقديره: (هم أموات بل هم أحياء)، وقد حذف لتقدم ذكره "ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله" ولتوجه العناية إلى الخبر، إذ الغرض تصويبه في معتقدهم، فلم يكن ثمة ما يدعو إلى ذكر المبتدأ أو تكراره[١]، وهو ما يذهب إليه حسين الدراويش بقوله :"وربما يكون سبحانه وتعالى – وهو أعلم بمراده – قد حذف المسند إليه في الحالتين السابقتين تنبيهاً لدفع قول القائلين: إن الشهداء أموات هذا في الحالة الأولى، وأما في الحالة الثانية فقد حذف المسند إليه تنبيهاً إلى أن الشهداء أحياء عند الله – عز وجل – رداً على مَن قال إنهم أموات"[٢].

---

(١) الحذف البلاغي في القرآن الكريم: مصطفى أبو شادي، ص ٤٤.

(٢) النظم القرآني في سورة البقرة، ص ٩٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ففي حذف المبتدأ جَذْبٌ للسامع نحو الخبر، ليتدبر ويتأمل، وهو الأمر الذي تدعونا إليه الآية من الموت والحياة لتقرر بعدية موت الشهداء وثبوتية حياتهم (إحيائهم) عند الله تعالى، أما بذكره فيصير الكلام مكرراً، انظر إلى قولنا:" (لمن يقتل في سبيل الله هم أموات بل هم أحياء) ألا ترى بأن كلامنا هنا يحدث لك مللاً بتكرار المبتدأ؟ ألا ترى أن ما تفهمه بذكر المحذوف تستطيع أن تفهمه بحذفه، مبرأً مما يحدثه الذكر من خلل التكرار، فضلاً عن أن حذفه أولى وأبلغ، لأن عبثية الصياغة قد تدفع عنك المعنى المراد.

ومن حذف المبتدأ قوله تعالى: ﴿وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة ٥٨) فحطة فِعْلَة من الحط كالجلسة، وهي خبر مبتدإ محذوف،أي: مسألتنا حطة، والأصل النصب بمعنى: حط عنا ذنوبا حطة وهو الأجود عند الزمخشري،(١)، والنكتة في رفعها وحذف المبتدأ أنها تعطي معنى الثبات. لأنها تكون في سياق الجملة الاسمية في حين يجعلها النصب في سياق جملة فعلية، والفعلية توحي بالتجدد والتغير.

وقد حذف المبتدأ في قوله: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ﴾ (البقرة ١٨٥) وهو على تقدير: (هذا شهر رمضان) ولا داعي لإيراده، لأنه لا يقدم للمعنى شيئاً، فلا يصير الكلام مثلاً بِحُلَّةٍ أقوى منها عند حذفه. ويكون الحذف إذا دلت عليه القرائن، فكانت كلمة (شهر) سادة مسده، وغير محوجة لظهوره حتى إنَّ ظهوره يصير خطأ في الكلام، لأن ظهوره إشارة إلى ذلك الشهر، أما غيابه فيعني إطلاق العموم على هذا الشهر كلما مرَّ وحلَّ. وقد يكون محذوفاً في قوله تعالى "هدى للناس" على تقدير: (هو هدى للناس) فجاءت الصفة (الخبر) مقتصرة على المبتدأ المحذوف، وهو ما يفيد خصوصيته، فالخبر أطلق وصف العموم على ما حُذف من ركن الجملة الإسمية الأساسي فوجد المبتدأ في المعنى بدلالة الذهن، وغيابه في اللُّغة يقوي الدلالة الوصفية (التوضيحية) للقرآن الكريم، لأن ما وضّح بجملة مشتملة على وصف ليس

---

(١) الكشاف، ١/١٧١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كالذي يؤكد بوصف فقط. فمن كان فيه هذا الهدى كله بقوته وشموليته موجهاً للناس، كان مرشداً وهادياً لهم، وهذا يعني أنَّه من لم يُرشد مع كل هذا الوصف الكامل للقرآن الكريم فهو ظالم نفسه، وحسبها إيَّاه، وعليه يترتب صيام الشهر في حال شهادته لقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾.

وفي قوله تعالى: ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ القِصَاصُ فِي القَتْلَى الحُرُّ بِالحُرِّ وَالعَبْدُ بِالعَبْدِ وَالأُنثَى بِالأُنثَى فَمَن عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيهِ بِإِحْسَانٍ﴾ (البقرة ١٧٨). ففي هذه الآية كان القصاص حكماً تشريعياً وفي نهايتها جاء قوله تعالى :"فاتباع" فَبَعْدَ حكم القصاص في القتلى، جاء حكم الحذف بقوله "فاتباع"، إذ التقدير: فالواجب اتباع، وهنا حُذف المبتدأ بعد الفاء المقترنة بجواب الشرط، وهي من المواضع التي يقع فيها حذفه، وقد جاءت دلالة الحذف تركيزاً على الخبر واعتناءً به، لأنَّه الأهم معنى، إذ المبتدأ مفهوم من السياق أو بالإمكان الوصول إليه من الآية، أما الخبر فهو بحاجة إلى التصريح به لأنه واجب الظهور، لئلا يكون عرضة للتأويل وهو حكم شرعي. ومنه قوله تعالى : ﴿أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (البقرة ١٨٤).

فالحذف في الآية واقع عند قوله (فعدة) إذ تقديره: فالواجب عِدَّة.

وفي قوله تعالى: ﴿الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ (البقرة ٢٢٩) حُذف المبتدأ وتقديره: (فالواجب إمساك) فكان الخبر هو العنصر المهم في بناء التركيب (إمساك)، لأنه ركيزة الحياة الزوجية، ووجوبه أمرٌ لا بد منه لإدامة الحياة الزوجية، وجاء الإمساك في معرض الحديث عن الطلاق حتى لا يكون، وإلاّ كان التسريح بالإحسان. فالحذف إشارة إلى الإمساك عن هذا الطلاق، وما حُذف المبتدأ إلاّ للعناية بالخبر وتعجيل القيام به حتى لا يحدث التسريح، لأنَّ الإمساك هو الأولى، أما التسريح أو الطلاق فهو أبغض الحلال إلى الله تعالى.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وحُذف المبتدأ بعد الفاء الواقعة في جواب الشرط في قوله تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ﴾ (البقرة ٢٣٧).

وهو على تقدير (فالواجب نصف) والنصف هي القيمة التي تعطى للزوجة في حال طلاقها، وهي المقدار الذي يجب إظهاره، أما المبتدأ فالمعنى حاصل بحذفه، لأنَّ تركيب النص يُفهم ذلك، والخبر أولى بالظهور لأنَّ تأويله -عند حذفه - أمرَ غير معروف، فهو العمدة في بناء الآية، وبذلك لا يمكن غيابه، لأنَّه محل ظنّ، والتشريع الإلهي لا يكون خاضعاً لظنّ أو تأويل.

ولا نستطيع أن نحدد أسرار الحذف في المسند إليه، لأنَّها مظاهر لاختلاف المقامات والأحوال، فكل نص يقع فيه قد يخالف في سرّه نصاً آخر وما هذه الآيات إلاَّ أنماطٌ نوردها على سبيل المثال لنتفهم أسرارها، ففي قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ (البقرة ٢٥٥) قد يكون المبتدأ محذوفاً، أي: هو الحي القيوم، لأن الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم هو الله سبحانه وتعالى، فكان الحذف مدعاة فرضتها تراكيب العبارة، وكان النفي بقوله "لا إله إلاّ هو" أساساً في هذا التركيب، وقوله: " الحي القيوم" مقيدة بمسند إليه ثابت غير متعدٍ، دائم غير زائل، ولا داعي لإيراده لأنه واقع في الذهن وغالب عليه، وعليه تكون العبارة أقوى، وتكون الدلالة أكثر إمعاناً في النفس. فالصفة (الحي) إخبار عن المبتدأ المحذوف، والحذف أضفى عليها صفة الوضوح والبروز، لأنَّها مكملة له، لهذا استتر المبتدأ ليُظهر الخبر حتى يكون معبراً عن كل صفات الكمال التي تأتي فيما بعد. وغياب المبتدأ هنا تكوين أضفى على المعادلة اللغوية عمقاً برغم أن هذا التكوين منقوص منه أحد أركان الجملة الأساسية لكنه على الرغم من ذلك كان مدعاة لانبعاث البعد فيه. ولعلَّ هذا هو ما دعا بعض النحويين إلى القول بجواز تعدد الخبر لمبتدأ واحد في هذا المقام وأشباهه، وهو

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

رأي يعتد به، وتقدير مبتدأ محذوف هو ضمير المبتدأ المذكور في مطلع الآية يؤدي الغرض نفسه[1].

حذف المسند (الخبر)

الخبر هو أحد ركني الجملة الاسمية، يقع عليه الحذف كما يقع على المبتدأ، وقد يحذف جوازاً، وقد يحذف وجوباً، أما حذفه جوازاً فيأتي في مواضع منها[2]:

أولاً: في الإجابة عن السؤال بـ (من) أو (أي)، فإذا سأل سائل: مَن حاضر؟ ومَنْ عندك؟ فإن للمجيب أن يقول: زيد، فيذكر المبتدأ ويحذف الخبر اعتماداً على ذكره في السؤال.

ثانياً: في العطف على مبتدأ ذكر خبره: إذا كانت جملة مكونة من مبتدأ وخبر، ثم عطف على المبتدأ نظير له يصح الإخبار عنه بالخبر السابق جاز حذف الخبر، نحو: زيد قائم وعمرو، فالتقدير: وعمرو كذلك، أي: قائم.

ثالثاً: إذا كان المبتدأ اسماً موصولاً واقعاً بعد همزة استفهام إنكاري، وكان الخبر على عكس المبتدأ في الصفة، ومنه قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ (الرعد٣٣).

رابعاً: في الإخبار بشبه جملة: إذا وقع الخبر شبه جملة نحو: السفر غداً، أو زيد عندك، فقد قدر النحاة الظرف أو الجار والمجرور متعلقاً بـ(اسم الفاعل) كائن أو مستقر أو بالفعل (استقر) وهو تقدير تقتضيه الصناعة النحوية، ولا يحتاج إليه المعنى.

أما حذف الخبر وجوباً أو غالباً فيأتي في مواضع منها[3]:

الأول: خبر المبتدأ بعد لولا: يأتي حذف الخبر فيما يدل على مجرد الوجود أو الكينونة، ومثاله قول عمر رضي الله عنه :" لولا علي لهلك عمر"، فالتقدير لولا علي

---

(١) انظر، أوضح المسالك، ٢٢٨/١.

(٢) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: طاهر حمودة، ص ١٨٨-١٩١، وانظر، أوضح المسالك ٢٢٠/١ وهمع الهوامع ٣٨/٢، وعلم المعاني، عبد العزيز عتيق ص ١٣٩، وأساليب بلاغية: أحمد مطلوب ص ١٦٥ والبلاغة فنونها وأفنانها: فضل عباس ص ٢٠٤-٢٠٦.

(٣) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: طاهر حمودة ص ١٩١-١٩٣، وانظر، أوضح المسالك ٢٢٠/١-٢٢٦، والنحو الوصفي من خلال القرآن ١١٢/٢ وما بعدها.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

موجود، فعناصر التركيب كما يلي:

لولا + مبتدأ + خبر محذوف وجوباً لأنه كون مطلق + جملة الجواب

الثاني: إذ كان المبتدأ نصاً صريحاً في القسم: مثاله قوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الحجر ٧٢)، فلفظ (عمر) مبتدأ وخبره محذوف وجوباً تقديره: قسمي، وأوجب الحذف هنا كون المبتدأ دالاً على القسم بلفظه.

الثالث: إذا كان بعد المبتدأ واو تدل على المصاحبة، ومثاله قولهم: كل صانع وصنعته فالواو دالة على المصاحبة والاقتران، لذا وجب حذف الخبر، لأن تقديره: مقترنان.

الرابع: أن يكون المبتدأ مصدراً وبعده حال سدت مسد الخبر، وهي لا تصلح أن تكون خبراً، ومثاله قولهم: ضربي زيداً قائماً، فالمبتدأ هو ضربي، وقائماً حال من زيد، ولا تصلح الحال أن يخبر بها عن الضرب، والمعنى: ضربي زيداً إذا كان قائماً.

وكما توجد دواع لحذف المسند إليه، كذلك توجد دواع ترجح حذف المسند إذا دل عليه دليل، ومن هذه الدواعي[1]:

أولاً: الاحتراز عن العبث بذكر مالا ضرورة لذكره كقوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة ٦٢) أي والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك، ويكثر حذف الخبر لهذا الداعي في باب حذف الخبر جوازاً.

الثاني: تكثير الفائدة: ولا بد لحذف المسند من قرينة تميزه، كأن يكون سؤالاً محققاً، أي: واقع، كقوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ (العنكبوت ٦١) تقديره: خلقهن الله.

---

(١) أساليب بلاغية: أحمد مطلوب، ص ١٦٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد بينا حذف المسند بالشروط النحوية والدواعي البلاغية السابقة إلاّ أن تلك الدواعي لا تقف وحدها في عرضنا للآيات، لأن السياق ينوع من دلالة، ففي قوله تعالى: ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (البقرة ٦٤) حذف الخبر وجوباً بعد (لولا) وتقديره: (لولا فضل الله عليكم ورحمته موجودان لكنتم من الخاسرين) فحذفه كان موافقاً للتركيب من جهة الصياغة، وهو يعني فضل الله بقبول التوبة، ورحمته بالعفو عن الزلل.

ويتفق التزام حذف الخبر مع ما يدل على مجرد الوجود أو الكينونة المطلقة فعلاً كان أو اسماً، وقد تم حذف الخبر استجابة لتركيب الآية التي تدل عليه بقوله تعالى: "ولولا فضل الله عليكم ورحمته" وهو يعني أنهما موجودان دون إيراد لفظ الوجود: لأن ما يدل على مطلق الوجود هو وقوع الحدث، ولأن ذهن المتلقي يصل إلى فرضيَّة تلقيهم لفضل الله ورحمته، وحرف الشرط وجوابه هما اللذان دفعا إلى حذف خبر لولا، لأنه لا يمكن حدوث الفضل والرحمة مع الخسران، فالفضل والرحمة لا يساويان الخسران. وإنما انعدام الفضل والرحمة يساوي الخسران.

فاتزان طرفي الآية اللذين يشكلان طرفي المعادلة، يفرضان حدوث الفضل والرحمة بالوجود، أي أن وجودهما هو الذي أحدث اتزان الطرفين وإلاّ اختلا، وعليه فلا ضير إذا قلنا بعدمية وجود خبر (لولا)، بمعنى حذفه.

وفي قوله تعالى: ﴿أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ كَانُوا هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ قُلْ أَأَنتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ (البقرة ١٤٠) حذف الخبر جوازاً لأنه عطف على مبتدأ ذكر خبره في قوله تعالى :" أأنتم أعلم"، وحَذْف خبر المبتدأ الثاني بعد أم تقديره: (أم الله أعلم) وما وقع الحذف إلاّ لأن خبر المبتدأ (أنتم) هو (أعلم) دل على الخبر المحذوف للفظ الجلالة، فنسق التركيب أعطانا وجوداً لهذا المحذوف في الذهن، ولا يخيل لنا بأن هناك حذفاً واقعاً في خبر لفظ الجلالة، لأن المقام أبعد عن تشتيت فكر السامع أو زعزعة ذهنه بتصورات أخرى، إذ الخبر مُدرك تماماً، لأن إدراك المتلقي قادر على تتبع الأخبار في الذهن، وما حَذْفُهُ هنا إلاّ ليدل على

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تصاعد معرفة الله وسموها فوق معرفة البشر، ولأن التساوي هنا يستحيل فالعلم محدود للبشر وغير محدود لله تعالى، فالحذف أشعر بعدم الاتزان في المعرفة، وكأن التركيب يجيب عن نفسه بأن الله عليم بكل شيء، فإن (الله أعلم) دون مجادلة في ذلك، وأن المعرفة لله تعالى كاملة وشاملة للوجود، إضافة إلى أن الخبر حذف بعد الاستفهام الإنكاري، وهو للخبر الأول مشكوك فيه، بمعنى حدوث زعزعة العلم لدى الناس (لديهم) وحذفها للفظ الجلالة (الله) حتى لا ترد بعد هذا الإنكار فيضعف من قوتها، كما أن الوقوف على المبتدأ بقوله: (أم الله) تركيب يوحي بالقوة الحسية والمعرفية، لأن علم الله سبحانه وتعالى أكبر من أن ندل عليه بلفظ أو تركيب، وكأن المبتدأ غطى على الخبر بكل معانيه، لأن ذكره كافٍ وموح بكل معاني المعرفة المطلقة والقدرة الخارقة.

ويمتد حذف الخبر في سورة البقرة ليصل إلى خبر أنْ في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا وَتُصْلِحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة ٢٢٤) فقد حذف خبر (أنْ) هنا والتقدير: (أنْ تبرّوا وتتقوا وتصلحوا بين الناس خيُر لكم)، لأن البر والتقوى والإصلاح هي أفعال خير بذاتها، وهي بمكوناتها ذات أبعاد دالة على الخبر المحذوف، فحذف الخبر إذاً يستلزم إيصال التفكير بهذه الصفات للأفعال السابقة التي تعود بالتداعي إلى مضامينها. فمعاني الأفعال السالفة دالة على الخبر ومشعرة به، فالمعنى بحد ذاته هو الخبر، لأن الخبر المخبر عنه بالفعل أقوى في تنشيط ذهن المتلقي بالتركيز عليه، فلو أظهر لنا الخبر لا نصرف ذهن المتلقي إلى أن هذه الأفعال تدل على الخير وتقود إليه، أما بحذفه فإننا نستطيع الوصول إلى الخبر بوساطة نص الأفعال التي تدل على الخير، وبالتالي لا يكون الخير نتيجة لهذه الأفعال فحسب، وإنما تكون خيراً بحد ذاتها.

وعلى هذا نستطيع القول بأن تراكيب الأفعال ومعانيها في حقيقتها هي الخبر، لأن معانيها توصل إلى المتلقي الخبر المحذوف، ولأنه لا يكون الجزاء إلاّ من جنس العمل فالنتيجة المترتبة على العملَ تطابق المعنى القائم عليه.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويحذف خبر المبتدأ إذا عطف عليه مبتدأ علم خبره كقوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَا أَذًى وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾(البقرة ٢٦٣) يمكن عدُّ (خير) خبراً للاسمين السابقين المتعاطفين، ويمكننا أن نقول أن خبر (قول معروف) محذوف مقدر بأمثل، فيصير القول: قول معروف أمثل ومغفرة خير، وما حذف خبر الأول إلاّ لأن خبر الثاني دال عليه، فالاختصار الذي دعا إليه الحذف لا يمثل قصر التركيب وحسب، وإنما يمثل الوجود في المعنى واللفظ إذا ما عددنا الخبر الثاني ساداً مسده، وإذا ما عددنا وجوده يُحدث قلقاً للتركيب اللغوي.

أما قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾(البقرة ١٦٣) فقد حذف خبر لا النافية للجنس، وتقديره : (لا إله موجود) وقد كثر حذف خبر لا النافية للجنس في اللغة حتى إنه لا يذكر. وكثرة حذفه تتصل بجنوح اللغة العربية إلى حذف لفظ الكون المطلق، ولما كان حذف لا النافية للجنس يقصد به -غالباً - نفي وجود ما دخلت عليه فإن خبرها يكون محذوفاً (١). إذ علّق الزركشي على مثل هذا الخبر المحذوف وبينه بقوله :"إن الخبر محذوف وقدره النحاة (بموجود) أو (لنا) وأنكره الإمام فخر الدين، وقال: هذا كلام لا يحتاج إلى تقدير، وتقديرهم فاسد، لأن نفي الحقيقة مطلقة أعم من نفيها مقيده، فإنها إذا انتفت مطلقة كان ذلك دليلاً على سلب الماهية مع القيد، وإذا انتفت مقيدة بقيد مخصوص لم يلزم نفيها مع قيد آخر.

ولا معنى لهذا الإنكار، إذ إن تقدير (في الوجود) يستلزم نفي كل إله غير الله مطلقاً، فإن العدم لا كلام فيه، فهو في الحقيقة نفي للحقيقة مطلقة لا مقيدة. ثم لا بد من تقدير خبر لاشتماله مبتدأ بلا خبر، ظاهراً أو مقيداً، وإنما يقدر النحوي ليعطي القواعد حقها، وإن كان المعنى مفهوماً، وتقديرهم هنا أو غيره ليروا صورة التركيب من حيث اللفظ مثالاً، لا من حيث المعنى، ولهم تقديران: إعرابي وهو الذي خفي على المعترض ومعنوي وهو الذي ألزمه وهو غير لازم"(٢).

---

(١) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: طاهر حمودة، ص ١٩٧.

(٢) البرهان في علوم القرآن: ٣/١٣١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة ١٩٣) والتقدير في ذلك: (فلا عدوان موجود) فـ (لا) الدالة على نفي الجنس هي الدال على إسقاط خبرها، لأنها تنفي جنس اسمها مطلقاً، ونفيه بمعنى عدميته، فقد نفت الآية وجود عدوان، وبذلك لا حاجة لإيراد خبرها، لأنَّ معنى النفي دال على نفي الوجود، فالنفي سد مسد أي خبر يقدَّر.

حذف المفعول به

يتعلق الفعل بكلٍّ من الفاعل والمفعول، وكل منهما معمول لهذا العامل (الفعل)، فكانت جهة العمل في الفاعل الرفع وفي المفعول النصب، وقد يكون غرض المتكلم بيان وقوع الحدث فحسب دون النظر إلى الفاعل والمفعول، أو بيان الفاعل دون النظر إلى المفعول وقد يكون بيان المفعول الذي وقع عليه الفعل.[١] ولمَّا كان المفعول فضله جاز حذفه وسقوطه ويقع حذفه على ضربين، أحدهما: أن يحذف وهو مراد ملحوظ، ويقصد بذلك التخفيف وهو في حكم المنطوق به، لأنَّ الدلالة عليه من جهتين: من جهة اقتضاء الفعل له، ومن جهة اقتضاء الصلة إذا كان العائد، كقوله تعالى: ﴿أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا﴾ (الفرقان ٤١).

والثاني: أن تحذفه لغرض الإخبار بوقوع الفعل من الفاعل، فيصير من قبيل الأفعال اللازمة، نحو: ظرُف وشرف، وقام وقعد، كقولهم: فلان يعطي ويمنع ويضرُ وينفع، والمراد يعطي ذوي الاستحقاق ويمنع غير ذوي الاستحقاق وينفع الأوُدّاء ويضر الأعداء.[٢]

ويحذف المفعول لأغراض بلاغية منها[٣]:

- أن يحذف المفعول لأن ذكره يوهم غير المقصود، كقولنا (سهرنا الليل إلى الفجر) وهنا يمكن أن يظن السامع أنك سهرت أكثر الليل، ولكن إذا أردت أن تزيل هذا

---

(١) البلاغة فنونها وأفنانها: فضل عباس، ص ٢٠٩.

(٢) شرح المفصل: ابن يعيش ٢/٤٠.

(٣) أساليب بلاغية: أحمد مطلوب، ص ١٦٦-١٦٧، وانظر: البلاغة فنونها وأفنانها، ص ٢١٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المعنى تقوم بحذف المفعول، فتقول: سهرنا إلى الفجر، وهنا يدرك السامع أنَّك سهرت الليل كله إلى الفجر.

- أن يكون المفعول معلوماً، ولكنك تحذفه لغرض مهم، وقصد بارع، وهو أن تتوجه النفوس لإثبات الفعل للفاعل، كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ (القصص ٢٣)، فالمفعول المحذوف هو يسقون أغنامهم، وتذودان غنمهما.
- التعميم، كقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (يونس ٢٥)، أي: يدعو كل واحد ومثل قولك: واقع أمتنا لا يسر، أي لا يسر أحداً.
- البيان بعد الإبهام، كما في فعل المشيئة إذا لم يكن في تعلقه بمحذوف غرابة، مثل (لو شئت جئت)، أي: لو شئت المجيء جئت، فعند النطق بـ (لو شئت) علم السامع أنك علقت المشيئة بشيء فيقع في نفسه أنَّ هناك شيئاً تعلقت به مشيئتك.

ويرد حذف المفعول به في آيات القرآن الكريم ليزيد المعنى عمقاً والأسلوب إقناعاً، ففي قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ (البقرة ١٦) فقد حذف مفعول (ربحت) وهو على تقدير: فما ربحت تجارتهم شيئاً. والحذف هنا مهم في طغيان العمومية على الربح، بمعنى أن تجارتهم لم تربح أي شيء، فهي إذن خاسرة، فلو أظهر محذوفاً ما لاقتصر عدم الربح عليه. فنفيُ الربح عن التجارة وافق الحذف الواقع على المفعول، إذ به أصبحت تجارتهم مقوضة، وكأنَّ الله تعالى يخبرنا أنَّ الذي يشتري الضلالة بالهدى خاسر بمطلق الخسارة، وهذا ما يؤكده قول الزمخشري[1] تعليقاً على هذه الآية من أن الذي يطلبه التجار في تصرفاتهم شيئان: سلامة رأس المال، والربح. وهؤلاء قد أضاعوا الطلبين معاً، لأنَّ رأس ما لهم كان هو الهدى فلم يبق لهم مع الضلالة، وعندها لم يوصفوا بإصابة الربح،

(١) الكشاف ١/١٠٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مهما ظفروا من الأغراض الدنيوية، لأنَّ الضال خاسر دامر، وما كانوا مهتدين لطرق التجارة. وحذف المفعول هنا يعني الاقتصار على الفعل، وبما أنَّه منفي، فهذا يعني عدمية الربح وبذلك يتساوى الأسلوب المنفي والمفعول المحذوف.

وفي قوله تعالى: ﴿يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ﴾ (البقرة ٢٠) حُذف المفعول وهو على تقدير :(كلما أضاء لهم طريقاً أو ممشى مشوا فيه) وإسقاط المفعول إشارة إلى الفعل (أضاء)، لأنه لا يتم المشي بدون ضوء، وترك مفعول (أضاء) حتى لا يكون مقتصراً على محدد أو محدد بمقصود، بمعنى: أنَّ الحدث الأساسي هو البنية الظاهرة من النص (الإضاءة) أما البنية الخفية فهي العنصر الذي يجب إخفاؤه حتى لا يصرف الذهن إليه، الأمر الذي يؤكده مصطفى أبو شادي بقوله :"فحذف المفعول به دلالة أن سيرهم مرتبط بإضاءة البرق حتى كأنَّهما شيء واحد، وفيه دليل على ترقبهم له وإسراعهم لاغتنام فرصة السير فيه كلما بدا لهم"(١).

ويكثر حذف المفعول في القرآن الكريم ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة ٣٤) فحذف المفعول في قوله "أبى واستكبر" وتقديره: أبى السجود واستكبره، فقد حذف مفعول أبى اختصاراً لدلالة (فاسجدوا) عليه.

وقد حذف مفعول اتخذ في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ وَاعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ﴾ (البقرة ٥١) وهو المفعول الثاني، والتقدير: اتخذتم العجل إلهاً) وتركيب النسق الكلامي هنا يستدعي ظهور المحذوف (الإله) إلاّ أنَّ الحذف جاء موافقاً لمعنى عدمية المحذوف، إذ لا إله إلاّ الله، فغيابه في الوجود فرض غيابه على السياق، أما كونه معصية فهذا أمر يمكن رؤيته بإحساس التركيب، لأنَّه يؤدي إلى الظلم الدائم لقوله تعالى :"وأنتم ظالمون".

---

(١) الحذف البلاغي في القرآن الكريم، ص ٥٧.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وكما حذف مفعول (اتخذ) في الآية السابقة حذف مفعول (أخرج) في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نَّصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ﴾ (البقرة ٦١) وهو على تقدير: يخرج لنا شيئاً، وبه يتم عناية المتلقي بالرؤية المتعمقة لعموم الإخراج، إذْ يصير الكلام عاماً غير محدد بنوع، لأنَّ تحديده تقليص لمعطيات الإخراج، وتقزيم للمعنى. ولا تعرف المخرجات، لأنَّها غير محددة. وهذا يعني غياب إدراك الإنسان لحجمها، ومدى تخيله لطبيعتها.

ومن مواطن حذف المفعول أيضاً قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن تَأَخَّرَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَى﴾ (البقرة ٢٠٣) فحذف مفعول (اتقى) وهو (الله) أي: اتقى الله، راجع إلى دلالة التركيب عليه بقوله فيما بعد (واتقو الله) وإلى قوة حضوره في ذهن المتلقي، وهنا تساوى باطن النص وباطن المتلقي، إذ المفعول (لفظ الجلالة) حاضر على الدوام، وهذا يعني أنَّ إشارات اللغة كافية أحياناً لمعرفة مثل هذا المحذوف، بل نجرؤ أن نقول إنّ اللغة لو كانت دون إشارات في مثل هذه الحالة لا يتغلب الحذف على المتلقي أبداً، لأنَّه موجود في وعيه ومؤثر فيه باستمرار، فالحذف لا يربك المتلقي هنا.

ومفعول المشيئة بعد أداة الشرط غالباً ما يحذف ومنه قوله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (البقرة ٢٢٠) فمفعول شاء محذوف، تقديره: ولو شاء الله إعنائكم لأعنتكم، ويحذف المفعول في مثل هذه الحالة، لأنَّ تركيب أداة الشرط والفعل شاء مع اللام الواقعة في جواب الشرط والجواب يقبل عدم وجود المفعول، سيما أن جواب الشرط يكون من جنس المحذوف فالقرينة بذلك واضحة.

لو + شاء // ل + الجواب

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

والجواب يفترض غياب المفعول، لأنَّه ساد مسده، ولأنَّه من جنسه فلا داعي لذكره.

ومنه قوله تعالى: ﴿قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ﴾(البقرة ٧٠) فالكلام في البنية التحتية للتركيب (إن شاء الله هدايتنا لمهتدون) والتحويل الذي طرأ على الجملة هو حذف المفعول، وعليه لا يكون الباطن مساوياً للظاهر ليس في التركيب حسب، وإنَّما في المعنى كذلك، إذ الهداية منهم كانت معدومة، لأنهم أخفوا في باطنهم الكفر والعناد، إلا أنَّ المشيئة من الله موجودة، فغيابها كان بسبب رفضهم، لذلك كانت الهداية المنسوبة لهم محذوفة.

وحذف مفعول شاء في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتَتَلَ الَّذِينَ مِن بَعْدِهِم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ (البقرة ٢٥٣) على تقدير: ولو شاء الله أن لا يقتتلوا ما اقتتل الذين من قبلهم. وهنا اختلف التركيب عن الآيات السابقة بدخول النفي على جواب الشرط (ما اقتتل) وهذا يفترض النفي في المفعول المحذوف، لأن نفي الأسلوب يوجب النفي في التقدير، وإلاّ أصبحت الآية مغلوطة والعياذ بالله وهنا جرت الآية مجرى غيرها في دلالة جواب الشرط على المفعول، فَحُذِفَ، ولم يكن هذا الاقتتال الحادث بين الناس خارجاً عن مشيئة الله وسلطانه، لأنَّه قادر على أن يمنع هذا الاقتتال، لكنه تعالى حدّ لعباده حدوداً وألزمهم بفرائض وأمرهم بعدم تخطيها، وترك المجال لهم للاختيار، فكان الجزاء بالثواب أو العقاب، لذا لم يشأ الله التدخل، ليحاسب الإنسان وفق عمله يوم القيامة.

ويقع حذف المفعول في رؤوس الآيات ومن ذلك قوله تعالى: ﴿يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ (البقرة ٩) والشعور أمر داخل في النفس الإنسانية، وجاء حذف المفعول بقوله : " وما يشعرون" وتقديره وما يشعرون به أي وما يشعرون بذلك الخداع. والحذف على مستوى التركيب يساوي عدم الشعور على المستوى المعنوي، إذ الشعور أمرٌ باطني خفي وعدمه يعني خفاؤه بشكل أكبر. وقد وقع حذف المفعول حتى يكون التوافق للمقاطع الأخيرة لكل نهايات الآيات، وتوازيه في

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الجرس الموسيقي، وهو أمر يستدعي حضور شيء خفي، وإيماءات داخلية نفسية، ذات صدى على الوحده الشعورية بقوله: (لا يعلمون ١٣، يشعرون ٩، مصلحون١١، يكذبون ١٠، يبصرون ١٧) من سورة البقرة، تكمن بإعطاء معنى العموم والاتساع لهذه الأفعال لتشمل أموراً كثيرة. والذي نعتقده أن القرآن حين يراعي الفاصلة، ويبقي على تنغيمها، إنما يحفظ وسيلة من أقوى وسائله في التأثير، لأن رنين الكلمات وجرسها وتوافق إيقاعاتها لغة تتغلغل في النفس، وتسمو بالروح إلى آفاق قدسية، فتأخذها نشوة يحسها من يرتل هذه الآيات، ترتيلاً يتهدج فيه صوته، ويتماوج مع ألحانه، ثم ينتهي إلى هذه الفواصل فيجد عندها القرار.[١] وكما يشير صلاح الدين عبدالتواب إلى "أن التأثير الموسيقي للفاصلة، لا شك أنه يزيد الأسلوب رونقاً وجمالاً، عندما يجيء على نمط خاص في تعبيره وتصويره؛ مما يؤدي إلى هذه اليقظة النفسية، والإيحاءات المتعددة من جانب المتذوق لهذا التعبير والتصوير"[٢]. وهذا يعني أن (جَرْس) العبارة عندما يقع على الأسماع يمتزج بالمشاعر والأحاسيس فيكون صورة نابعة من العقل والوجدان يثري العبارة ويحرك الفكر.

حذف التمييز

تحتاج الألفاظ المبهمة من الأعداد ووحدات الكيل والوزن والمساحة وما يشبهها إلى تمييز يوضح إبهامهما. ويُذْكرُ التمييز عادة بعد الاسم المبهم، فإذا علم من القرائن مميز هذه المبهمات جاز ذكرها دون تمييز، وذلك نحو: عندي عشرون أو ثلاثون أو نحو ذلك في الإجابة على من يسأل: كم كتاباً عندك؟ أو نحو قولهم: بلغ فلان من العمر سبعين، حيث يحذف التمييز وهو (سنة أو غير ذلك) لجري العادة على حسابه بالسنين[٣]، كقوله تعالى: ﴿فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَةٌ﴾ (البقرة ١٩٦)، فالقرينة في حذفه واضحة، تقديرها: (سبعة أيام، عشرة أيام)، لأن الإشارة الأولى بذكر الأيام عند قوله :"فصيام ثلاثة أيام" أغنت عن ذكر التمييز في السبعة والعشرة، إذ لا يصير التكرار بفاعلية، وإنما يكوّن خللاً في التركيب،

---

(١) خصائص التراكيب: محمد أبو موسى، ص ٢٨٧.

(٢) الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ص٧٥.

(٣) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: طاهر حمودة، ص ٢٢٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كأن نقول :(فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة أيام إذا رجعتم تلك عشرة أيام كاملة) وقد حذف التمييز اختصاراً لدلالة السياق عليه.

وعليه قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ (البقرة ٢٣٤)، فتقدير التمييز هنا: أربعة أشهر وعشر ليالٍ، فقد وقع حذف التمييز لغرض الاختصار.

وحذف التمييز في قوله تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ (البقرة ٢٥٩) وهو على تقدير: (كم يوماً، أو عاماً لبثت) فقد وقع الحذف لتعميم إشارة كم، إذ فهم من السؤال مدى لبثه، فكان في ذهنه على الأغلب يوم، إلاّ أنه لبث مئة عام، فكانت عمومية كم الاستفهامية واقعة لمدى معرفته وقت لبثه، وما حذف التمييز إلاّ ليكشف عن هول المفاجأة لدى ذلك الشخص (الذي مرّ على القرية)، وبالتالي يجعل من سؤاله إجابة، حين سأل :"أنى يحيي الله هذه بعد موتها"، وحتى تقر حقيقة بعث الله للأموات في نفسه. بالإضافة إلى أنّ السؤال من الله وهو يعرف أنه لبث مائة عام، ولم يحدد التمييز بقوله مثلاً: كم عاماً لبثت، ولو حدده لأحدث اللبس عند المسؤول، الذي يعتقد أنه لم يلبث سوى يومٍ أو بعض يوم. فكيف يُسأل عن هذه المدة بالأعوام؟ ومن هنا جاء السؤال عاماً.

حذف الحال

يحذف الحال في العربية، ويكثر إذا كان قولاً أغنى عنه المقول، نحو قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ سَلَامٌ﴾ (الرعد ٢٣)، فالتقدير: قائلين سلام عليكم، فحذف لفظ القول الواقع حالاً استغناء بالمقول.(١)

(١) ظاهرة الحذف: طاهر حمودة، ص ٢٢٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولا يكاد يرد حذف الحال في غير هذا الموضع، لذا قال ابن جني إنّ حذفه "لا يحسن وذلك أن الغرض فيها إنما هو توكيد الخبر بها، وما طريقه طريق التوكيد غير لائق به الحذف، لأنه ضد الغرض ونقيضه"(١) بيد أنه أجاز في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (البقرة ١٨٥) أن تقدر فيه حال محذوفه على تقدير: فمن شهده صحيحاً بالغاً، وذلك لأن الدلالة من الإجماع والسنة قد دلت عليه، ولو عريت الحال من هذه القرينة لما جاز حذفها(٢).

وقد قلّ حذف الحال في سورة البقرة ومن تلك القلة، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (البقرة ٨٣) فالحال محذوفه في قوله تعالى :"بني إسرائيل لا تعبدون" على تقدير: بني إسرائيل متوحدين أو مجتمعين، وتأويله صادر عن تركيب السياق كله، بقوله "لا تعبدون" إذ يفيد المحذوف هنا قوة في أخذ الميثاق كونه لعمومية (جميع) بني إسرائيل.

وحذفت جملة الحال في موضع كان ظهورها يعني القلق لموضع السياق، وذلك في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ﴾ (البقرة ٨٥)، ففي قوله :"وهو محرم عليكم إخراجهم" جملة حال. وقد حذفت من كل جملة سابقة، أي: تقتلون أنفسكم وهو محرم قتلهم وتخرجون فريقاً وهو محرم عليكم، تظاهرون عليهم بالاثم والعدوان وهو محرم عليكم، وقد حذفت هذه الحال اكتفاءً بالحال الظاهرة.(٣) إذ التكرار إرباك لأسلوب الآية، فضلاً عن أنّ المعنى قائم دونه.

---

(١) الخصائص، ٣٧٨/٢.

(٢) انظر، السابق، ٣٧٨/٢-٣٧٩.

(٣) التأويل النحوي في القرآن الكريم: عبد الفتاح الحموز ٣٤٢/١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حذف المضاف إليه

يحذف المضاف إليه في اللغة، لكنه أقل حذفاً من المضاف، وعند وروده محذوفاً يكون على ثلاثة أقسام، لأنه تارة يزول من المضاف ما يستحقه من إعراب وتنوين ويبنى على الضم، نحو: من قبلُ، وتارة يبقى إعرابه ويُرَدُّ إليه تنوينه، وهو الغالب، نحو: ﴿وَكُلًّا ضَرَبْنَا لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُلًّا تَبَّرْنَا تَتْبِيرًا﴾ (الفرقان ٣٩)، وتارة يبقى إعرابه ويترك تنوينه، وشرط ذلك في الغالب أن يعطف عليه اسم عامل في مثل المحذوف، كقولهم: (خذ رُبعَ ونصف ما حصل) وبغير الغالب قولهم: (ابدأ بذا من أوّلِ) بالخفض من غير تنوين(١).

وحذف المضاف إليه أقل من حذف المضاف، لأن الغرض من المضاف إليه التعريف والتخصيص، وإذا كان الغرض منه ذلك وحذف كان نقضاً للغرض وتراجعاً عن المقصود فمن ذلك قولهم: (إذ وحينئذ) وأصله أن (إذ) تكون مضافة إلى جملة إما ابتدائية وإما فعلية، نحو: جئتك إذ الحجاج أمير، وإذ قام زيد.(٢)

ونرى حذف المضاف إليه بعد ألفاظ الغايات مثل: قبل وبعد وأسماء الجهات وتبنى الألفاظ المذكورة على الضم عند حذف المضاف إليه لفظاً ونيته معنى، وتنوّن إذا قطعت عن الإضافة لفظاً ومعنى، ومنه قوله تعالى: ﴿فِي بِضْعِ سِنِينَ لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ﴾(الروم ٤) أي من قبل الغلب ومن بعده، ويمكن أن يقع الحذف إذا عطف على المضاف اسم مضاف إلى مثل المحذوف من الاسم الأول كقولهم: قطع الله يد ورجل من قالها، فحذف ما أضيف إليه (يد) وهو من قالها، لدلالة

---

(١) أوضح المسالك: ابن هشام ١٧١/٣.

(٢) شرح المفصل: ابن يعيش ٢٩/٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ما أضيف إليه (رجل) كما يمكن رؤية الحذف بعد ألفاظ: كل وبعض وأيّ، ومنه قوله تعالى: ﴿كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ (البقرة ١١٦) أي كل من في السماوات والأرض.(١)

أما بيان ذلك في آيات البقرة فهو كقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ (البقرة ٨٩) فقد حذف المضاف إليه، وهو على تقدير : (من قبل مجيء القرآن) والدال عليه قوله تعالى :"ولما جاءهم كتاب" وقد دل الحذف على إطلاق عمومية الزمان وبعديته، إذ كان اليهود يحاربون مشركيهم، لأنهم كفروا بما يقولون، بأنه سيأتي نبي فلما جاءهم الكتاب وفيه ما كانوا يعرفون كفروا به، وهي إشارة إلى غطرسة اليهود، وتعنتهم قبل مجيء القرآن، وإلى شدة محاربتهم لِمَا جاء به بعد نزوله مع توافق نسق اللغة في ذلك.

وفي قوله تعالى: ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (البقرة ٩١) وقع حذف المضاف إليه بعد قوله :"من قبل" أي من قبل نزوله، وهي في دلالاتها تشير إلى ماهية اليهود على مدى الأزمنة، وهي ماهية نابعة من فلسفة الوجود والسيطرة، إذْ تمثل رأس تفكيرهم، فقتلهم لأنبياء الله –الذين يجب احترامهم – دائم بانقطاع الماضي هنا، إذ تتساوى لديهم القَبْليّة والبَعْديَّة، أي قبل نزول القرآن وبعده، ذلك لأنَّ أحلام الهيمنة يسعون إليها بكل قواهم.

أما حذف المضاف إليه بعد (كل) فقد جاء في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾ (البقرة ١١٦). قُدِّر المضاف إليه المحذوف بـ (كل ما فيهما) وما حُذف إلاّ ليشير إلى القنوت الجماعي لما في السماوات والأرض لإظهار صورة التوحد، رداً على قولهم :"اتخذ الله ولداً" وبتلك الصورة نَفى هذا القول، وأقرّ حقيقة عبودية كل ما في الوجود لله تعالى، وحذف المضاف إليه جاء من باب التقليل من قيمتهم وأثرهم.

---

(١) ظاهرة الحذف: طاهر حمودة، ص ١٢٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وفي قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ (البقرة ١٤٨) حذف المضاف إليه وعوض عنه بالتنوين، والأصل: (ولكل أمة)، ويشير الحذف إلى عمومية المحذوف واتساعه ويقول أبو حيان الأندلسي : " والتنوين في (كل) تنوين عوض عن إضافة، وذلك المضاف إليه المحذوف، اختلف في تقديره فقيل المعنى: ولكل طائفة من أهل الأديان، وقيل المعنى: ولكلّ أهل صُقع من المسلمين وجهة من أهل سائر الآفاق إلى جهة الكعبة وراءها وقدامها ويمينها وشمالها، ليس جهة من جهاتها بأولى أن تكون قبلة من غيرها، وقيل المعنى: ولكل نبي قبلة"(١)

أما قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾ (البقرة ٢١٠) حذف المضاف إليه، وتقديره: وقضى أمر هلاكهم، وقد حذف المضاف إليه للتهويل والتخويف، ولتذهب النفس كل مذهب في تصور ما يكون من أمرهم.(٢) فالأمر الذي فيه الهلاك جزؤه الآخر محذوف (الهلاك) ليكون على أي وجه، ولتذهب التصورات منه بعيداً. والقوة في الدلالة على التعريف مع وجود (ال) أكبر منها مع وجود الإضافة، لأن مجيء الكلمة مفردة معرفة ودالة أقوى من مجيئها في جزأين.

حذف المضاف

يحذف المضاف في عربيتنا كما يحذف غيره، وتعليقاً على ذلك يقول ابن يعيش: "اعلم أن المضاف قد حُذف كثيراً من الكلام، وهو سائغ في سعة الكلام وحال الاختيار إذا لم يُشْكِلْ، وإنما سوغ ذلك الثقة بعلم المخاطب إذ الغرض من اللفظ الدلالة على المعنى، فإذا حصل المعنى بقرينة حال أو لفظ آخر، استغنى عن اللفظ الموضوع بإزائه اختصاراً، وإذا حذف المضاف أقيم المضاف إليه مقامه، وأعرب إعرابه، والشاهد المشهور في ذلك قوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ (يوسف ٨٢) والمراد أهل القرية، لأنه قد علم أن القرية من حيث هي مدر وحجر لا تسأل، لأن الغرض من السؤال رد

---

(١) البحر المحيط ٦١١/١.

(٢) الحذف البلاغي في القرآن الكريم: مصطفى أبو شادي، ص ٨٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الجواب وليس الحجر والمدر مما يجيب واحد منهما" [1]. وتعليقاً على هذا الشاهد بيانياً جاء قول السيوطي في المزهر: "وجه الاتساع فيه أنّه استعمل لفظ السؤال مع ما لا يصح في الحقيقة سؤاله، والتشبيه أنها شُبهت بمن يصح سؤاله لِمَا كان بها، والتوكيد أنها في ظاهر اللفظ، أحال بالسؤال على مَنْ ليس من عادته الإجابة؛ فكأنهم ضمنوا لأبيهم أنّه إن سأل الجمادات والجِمَال أنبأته بصحة قولهم؛ وهذا تناهٍ في تصحيح الخبر"[2].

وقد أعربوا المضاف إليه إعرابَ المضاف لوقوعه مكانه، نحو قوله : ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ (يوسف ٨٢) فلما أقيم المضاف إليه مقام المضاف باشره العمل، وانتصب انتصاب المفعول به، إذ الأصل (واسأل أهلَ القرية) فالقرية مخفوضة كما ترى.[3] وقد يقدَّر المحذوف في بعض المواضع بأكثر من مضاف واحد، كقوله تعالى: ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾ (طه ٩٦) أي: من أثر حافر فرس الرسول.

وبناء على ما سبق فإن المضاف قد يحذف ومن ذلك قوله تعالى في سورة البقرة: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (البقرة ٢٥).

إذ المضاف محذوف تقديره: (من تحت أشجارها الأنهار)، وجاء الحذف لمعنى شامل لمرور الأنهار، وهذا يعني أنّ الأنهار في الجنة تجدها في كل مكان، وذلك بيانٌ لفرط الهناء والسرور، وعليه يكون الحذف أكثر اتساعاً، غير أنّ طاهر حمودة[4] لا يرى في مثل هذا الموضع ضرورة تدعو إلى التقدير لأنّ المعنى دُلّ عليه. إلاّ أنّ (حمودة) غفل عن البناء العميق الذي يسُوقُ المعنى للآية وهو ما يحدث فهماً لبنائها

---

(١) شرح المفصل: ابن يعيش ٢٣/٣.

(٢) المزهر في علوم اللغة: السيوطي ٣٥٧/١، وانظر: الخصائص، ٤٤٧/٢، وانظر، التباس الفعل بما أسند إليه أو تعلق به: د. سلمان القضاة، مجلة كلية المعلمين، ع٢٠، ١٩٩٩، ص٥.

(٣) شرح المفصل، ٢٥/٣. وانظر ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ص ٢٠٧.

(٤) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ص ٢٠٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الظاهر وهو ما ترتب عليه وجود المضاف، بغيره لا نفهم كيفية جريان الأنهار من تحت الجنة. وهي مجازية اللغة التي تقوم على الاتساع والتشبيه والتوكيد، فوجه الاتساع ما لا تصح تحته الجريان، لأن تصوره يستحيل، ووجه التشبيه، هو تشبيه الجنة بما يصح جريان الأنهار تحته كالأشجار مثلاً، أمّا الوجه المؤكد فهو في الإحالة على شيء لا أحقية لجريان الماء تحته، في ذهن المتلقي.

أما قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة ٢٩) فقد حذف المضاف وهو على تقدير: (خلق لانتفاعكم أو لأجلكم ما في الأرض جميعاً ثم استوى أمره إلى السماء).

فَحَذفُ المضاف في قوله (لكم) يعطي معنى شمولية هذا الخلق، وملكيته في الحياة الدنيا حتى يصير الإنسان حرّ التصرف فيه، وعليه يكون ميزان العدل يوم القيامة لله تعالى، بذلك العطاء، أما تقدير (لانتفاعكم) فهذا يعني أن المخلوق لأجل الانتفاع فقط، لا أن يسخر فيما لا ينفع، أما قوله (خلق لكم) فهو يعطي عمومية الخلق جنباً إلى جنب مع عمومية الملك والتصرف، وعليه يكون العدل والجزاء. وقوله (لكم) متعلق بخلق واللام فيه قيل للسبب: أي لأجل انتفاعكم، وقدر بعضهم لاعتباركم، وقيل: للتمليك والإباحة فيكون التمليك خاصاً وهو تمليك ما ينتفع الخلق به، وتدعو الضرورة إليه، وقيل للاختصاص، وهو أعم من التمليك.(١) وهذا يعني أن الله تعالى خلق ما في الأرض لمصلحة الناس، الخاصة بالانتفاع منه، لا أن يستخدم في نواحي تلحق الضرر بهم، مع أنّ هذا الأمر متروك لهم، ليوضعوا على المحك الذي من خلاله يُظْهِرُ الصالح من الطالح فيكون على أساسه الحساب. أما قوله "ثم استوى إلى السماء" فهو يعني أنه تعالى صعد بأمره إلى السماء بعد أن كان أمره في الأرض، وتقدير المضاف هو (ثم استوى أمره) أي انتقل أمره سبحانه من أمره بخلق الأرض إلى أمره بخلق السماء، وعليه يكون المضاف محذوفاً تقديره :(إلى خلق السماء). لأن الاستواء لله عز وجل، وإنما عند حذف المضاف انفصل الضمير واستتر في الفعل (استوى) وهو ما يُشْعَرُ به،

(١) البحر المحيط ٢٧٩/١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

كون الاستواء الإقبال على الشيء، وقال الزجاج ثم استوى إلى السماء، أي: عمد وقصد إلى السماء[1].وقد قال الله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ (البقرة ٣٥) وهي على تقدير: (كلا من ثمرها) وما يحذف هنا إلاّ لإعطاء مطلقية الأكل، وبه يصير الأكل لكل ما تحويهُ الجنة من خيرات. وعدم الاقتصار على شيء معين كالثمر مثلاً، وفي البحر المحيط جاء قوله: "المعنى على حذف مضاف أي من مطاعمها من ثمرها وغيرها، ودل ذلك على إباحة الأكل لهما من الجنة على سبيل التوسعة، إذ لم يُحْظر عليهما أكل"[2]

أما قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (البقرة ٤٦) فقد قُدّر المضاف المحذوف بـ (ملاقو أمر أو جزاء ربهم) وهو على رأي من أنكر رؤية الله تعالى يوم القيامة كالمعتزلة "وقيل ذلك على حذف مضاف: أي جزاء ربهم لأن الملاقاة بالذوات مستحيلة في غير الرؤية، وقيل ذلك كناية عن انقضاء أجلهم كما يقال لمن مات قد لقي الله" [3]. فلفظ (ملاقو) تفيد مشاركة الطرفين في اللقاء، أي أن هذه النتيجة متحصلة، وواقعة. وحتى يعظم لنا الصورة حذف المضاف، وأبقى المضاف إليه، ليقوي ويفعّل عبادة الله.

ويظهر حذف المضاف في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ﴾(البقرة ١٧٣) فقد حذف المضاف في قوله :"حرم عليكم الميتة" إذ التقدير (أكل الميتة) وقد أظهر الحذف عمومية تحريم الميتة بكل صور التصرف معها، وقولنا: أكل الميتة يعني: أنّ ما يَحْرُم على الإنسان منها الأكل، إلاّ أن الحذف أعطى معنى شمولية التحريم ليس فقط الأكل، وإنما حرمة الميتة من أكل أو

---

(١) انظر، لسان العرب، مادة (سوا).

(٢) البحر المحيط ٣٠٩/١.

(٣) السابق ٣٤٢/١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

شرب أو بيع أو صدقة أو غير ذلك أي أعطى تحريم استعمال هذه الأشياء كلها. وما يؤكد ذلك قول أبي حيان الأندلسي : "وقال بعض الناس ما معناه: إنَّه تعالى لما أسند التحريم إلى الميتة وما نسق عليها، وعلقه بعينها كان ذلك دليلاً على تأكيد حكم التحريم وتناول سائر وجوه المنافع فلا يُخصّ شيء منها إلاّ بدليل يقتضي جواز الانتفاع به، فاستنبط هذا القول تحريم سائر الانتفاعات من اللفظ، الأظهر ما ذكرناه من تخصيص المضاف المحذوف بأنّه الأكل، وظاهر لفظ الميتة يتناول العموم، ولا يُخصّ شيء منها إلاّ بدليل"[1].

حذف المعطوف

يحذف الاسم الواقع معطوفاً لما فيه من طول الكلام كما يرد في الأفعال والجمل. ويرد حذف المعطوف كما في تقدير النحاة إذا كان مقابلاً للمعطوف عليه مع وجود القرينة، ففي قوله تعالى: ﴿بِيَدِكَ الْخَيْرُ﴾ (آل عمران ٢٦) يقدرون معطوفاً محذوفاً مع العاطف هو (والشر). وقد يرد سياق اللفظ دالاً على أمرين: معطوف ومعطوف عليه فيكتفي بذكر المعطوف عليه ويحذف المعطوف لوجود القرينة الدالة عليه أو لورود ذكره في السياق.[2] ومن حذف المعطوف في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة ٢) وهو على تقدير: (هدى للمتقين والكافرين) إذ لا تكون هداية القرآن خاصة بالمتقين حسبُ وإنما هي عامة للمتقين وغيرهم، وقد أُظهِر المتقُون تشريفاً لهم، فقال أبو حيان :"جوز بعضهم أن يكون التقدير: هدى للمتقين والكافرين، فحذف لدلالة أحد الفريقين، وخص المتقين بالذكر تشريفاً لهم"[3].

وتعليقاً على هذه الآية وتبييناً لمحذوفها جاء قول الطوفي البغدادي: "كأنَّ قائلاً قال: لِمَ اختُص المتقون بذلك؟ فأجاب عن هذا السؤال بقوله: ﴿الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ﴾

---

(١) السابق ١/٢٦١.

(٢) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: طاهر حمودة ص ٢٢٢.

(٣) البحر المحيط ١/١٦١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(البقرة ٣) إلى آخر الصفات المشيرة إلى سببية اختصاصهم، كأنه قال أهل هذه الصفات أحقاء بهذا التخصيص"[١].

وجاء قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا﴾ (البقرة ١٦٨) على حذف المعطوف في قوله (كلوا) وتقدير ذلك كلوا واشربوا)، لأنَّ الحياة للناس لا تكون بالأكل دون الشرب، وما كان الحذف إلا لأنَّ الأكل أكثر اتساعاً في الاستعمال، فيكون الأكل مغنياً عن الشرب ودالاً عليه، لأنَّه لا يحتمل أن يكون الله سبحانه أمر بالأكل الحلال، وترك مجال الشرب مفتوحاً والعياذ بالله.

وعليه قوله تعالى: ﴿وَآمِنُوا بِمَا أَنْزَلْتُ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ (البقرة ٤١) فقد حذف المعطوف وهو على تقدير :(ولا تكونوا أول كافر به ولا آخره) وجعل ذلك مما حذف فيه المعطوف، لدلالة المعنى عليه، وخص الأوّلية بالذكر، لأنَّها أفحش لما فيها من الابتداء بها، وعليه قول الزركشي:" فحذف المعطوف لدلالة قوة الكلام من جهة أن أول الكفر وآخره سواء، وخصت الأولية بالذكر لقبحها بالابتداء"[٢] ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ (البقرة ٢٦٠) وقد حذف المعطوف من كلام إبراهيم عليه السلام، وتقدير ذلك (ولكن سألت ليطمئن قلبي)، لأنه مدلول عليه من سياق السؤال في بداية الآية، فكان حذفه للاختصار والعلم به.

حذف الموصوف

تصحب الصفة الموصوف إلاّ إذا ظهر أمره ظهوراً يستغنى معه عن ذكره، عندها يجوز حذف الموصوف، وإقامة الصفة مقامه، كقوله :(أنا ابن جلا) أي رجل جلا وقد بين شارح المفصل[٣] أن الصفة والموصوف لما كانا كالشيء الواحد من حيث كان

---

(١) الإكسير في علم التفسير، ص ١٩٤.

(٢) البرهان في علوم القرآن، ٣/١٣٦.

(٣) شرح المفصل: ابن يعيش ٣/٦٠.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

البيان والإيضاح كان القياس أن لا يحذف واحد منهما، لأن حذف أحدهما نقض للغرض، لأنه ربما يقع في حذفه لبس إلاّ أنه قد يحذف إذا ظهر أمره وقويت الدلالة عليه.

وقد تقع المعاملة مع الصفة وتصير كاسم الجنس الدال على معنى الموصوف، وذلك كقولهم (الأجرع والأبطح) فالأجرع مكان سهل مستوٍ لا يُنْبِتُ، يقال مكان أجرع ورملة جرعاء ثم اشتهر المكان بذلك فعلم مكانه وإن لم يذكر فقيل الأجرع، إذ لا يوصف بذلك إلاّ المكان، وأما الأبطح فالمكان المتسع ومثله البطحاء وأصله أن يقال مكان أبطح ثم غلبت الصفة وصارت كاسم الجنس.(١)

ومن حذف الموصوف في السورة قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾ (البقرة ٢٥) فقد حذف الموصوف وهو على تقدير (وعملوا الأعمال الصالحات)، لأن الصالحات صفة أغنت عن ذكر موصوفها وقد أفاد الحذف عمومية الصالحات بمعنى: أي شيء صالح، دون أن يقتصر بموصوف.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا أَوَّلَ كَافِرٍ بِهِ﴾ (البقرة ٤١)، والتقدير: أول فريق كافر به، وفي حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه إيذان بأنها الغرض والنهي متوجه إليها على الحقيقة، فلقد كان المرتقب -وهم أهل كتاب - أن يكونوا أول فريق يؤمن به.(٢)

وجاء الموصوف محذوفاً في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّى يُؤْمِنَّ وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ﴾ (البقرة ٢٢١). يعني حذف الموصوف

---

(١) شرح المفصل: ابن يعيش، ٦٣/٣.

(٢) الحذف البلاغي في القرآن الكريم: مصطفى أبو شادي، ص ٨٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المقدر بـ(من أمة مشركة، وعبد مشرك) أن الصفة غالبة على الموصوف، وهي سادة مسده، فالموصوف مذكورٌ سابقاً (ولأمة مؤمنة) و(لعبد مؤمن) لذا لا داعي لإعادة الموصوف حتى تخلو من الإحساس بعمق العبارة وعليه تشعر بضعف المعنى أو رداءته والعياذ بالله. كما تدعو الآية بهذا الحذف إلى النظر للجنس لا للشخص، بمعنى أنَّ الأَمَة المؤمنة خير من جنس المشركات، والعبد المؤمن خير من جنس المشركين، وبذلك لا يستوي المؤمن والمشرك، وعليه تكون الإشارة للصفة (الإيمان والشرك).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثاني:

حذف الفعل وتفسيره عند النحويين والبلاغيين

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يحذف الفعل في الجملة الفعلية بالرغم من أنه نواتها، وهو ما سيكون موضع الحديث في هذا المبحث. فالفعل أهم أجزاء الكلام؛ لأنه لا يقتصر على الحدث حَسْبُ، ولكنه يحدثنا عما فعل الفاعل، ويوصل للمتلقي ما يدور في مخيلته من استفهام.

وتستعمل الجمل الفعلية كثيراً، وهذا يعني وجود الفعل في تلك الجمل إلاّ أن اختلاف مناسبات القول، وتعددها يستدعي عدم ذكره أحياناً.

وتُظْهِرُ عربيتنا كثيراً من التعبيرات دون فعل، ولا يكون بالمتكلم حاجة إلى تقديره، ولا حتى بالسامع؛ لأنه واقع في ذهنيهما، ولأنه من الوضوح بمكان، ولو ذكر الفعل لصار الكلام حشواً لا جدوى فيه.

وكثيراً ما نرسل جملاً فعلية لا يَظْهرُ فيها فعل، ولا نصرح بلفظه اكتفاءً بما يدل عليه من دلائل وإشارات، وهو ما يقوله ابن الحاجب في أن "القرينة الدالة على تعيين المحذوف قد تكون لفظية كما إذا قال شخص مَن أضرب؟ فتقول:زيداً، وقد تكون حالية كما إذا رأيت شخصاً في يده خشبة قاصداً ضرب شخص، فتقول: زيداً"(١).

وقد بين ابن جني(٢) أن حذف الفعل يكون على ضربين: أحدهما، أن تحذفه والفاعل فيه، نحو زيداً ضربته، والآخر، أن تحذفه وحده، وذلك أن يكون الفاعل مفصولاً عنه مرفوعاً به، وذلك نحو قولك: أزيد قام، أي: أقام زيد؟، فما أضمرته فسرته بقولك: قام.

ونتناول هنا حذف الفعل مع فاعله وإن كان حذف جملة، ونعده من حذف الفعل ما بقيت فيه بعض العناصر المكملة للجملة كالمفعول أو المتعلقات، لأننا سنخص حذف الجملة بما حذفت فيه جملة بأسرها أو جملة في أسلوب كالشرط أو القسم مثلاً.

---

(١) الكافية في النحو ١٢٩/١.

(٢) الخصائص ٣٧٩/٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد يضمر الفعل على شريطة التفسير وهو ما يوضحه ابن يعيش بقوله:" والنصب بإضمار فعل تفسيره هذا الظاهر، وتقديره: ضربت زيداً ضربته، وذلك أنّ هذا الاسم وإن كان الفعل بعده واقعاً عليه من جهة المعنى، فإنه لا يجوز أن يعمل فيه من جهة اللفظ من قبل أنه قد اشتغل عنه بضمير فاستوى ما يقتضيه من التعدي فلم يجز أن يتعدى إلى زيد، لأن هذا الفعل إنما يتعدى إلى مفعول واحد لا إلى مفعولين، ولما لم يجز أن يعمل فيه أضمر له فعل من جنسه وجعل هذا الظاهر تفسيراً له، ولا يجوز ظهور ذلك الفعل، لأنه قد فسره هذا الظاهر فلم يجز أن يجمع بينهما، لأن أحدهما كافٍ، فلذلك لزم إضمار عامله"(١).

ويبين بذلك ابن يعيش سبب إضمار الفعل، ويوضح الداعي الذي من أجله حذف، كما يشير إلى أن تركيب الكلام يستغني عن الفعل ويرفض وجوده، وهو ما يقودنا إلى القول بأن وجوده في مثل هذه الحالة أمرٌ صعب، لأن الكلام به يصبح غثّاً لا غناء فيه، ولأن الألفاظ المتكررة تحدث خللاً في التركيب أحياناً وهو ما رآه أحمد محمد سعد فقال :"إنَّ علة إضمار الفعل انتصاب الاسم عليه ههنا في الاستغناء بالفعل المفسر بعد الاسم، لأن المتكلم طالما يميل إلى الاستغناء عن بعض كلامه، إذا كان فيه ما يدل عليه أو يفسره، وإلاّ ألجأ الإظهار إلى التكرار الممل الذي لا طائل منه قولاً وبلاغة، وهذا ما تستكرهه طبيعة لغتنا المميزة بالإيجاز" (٢).

ويجوز حذف الفعل في مواضع يكون منها: ناصب المفعول به؛ فالأصل أن يذكر الفعل مع الفاعل مثل: حضر عمرو، ولكنه يحذف قياساً، نحو: زيداً لمن قال مَن ضربت؟ أو قرينة معنوية كقولك لمن شرع في الإعطاء: زيداً أي: أعط زيداً، ولمن تأهب للحج: مكةَّ، أي: تريدُ مكةَّ.(٣)

---

(١) شرح المفصل ٢/٣٠.

(٢) الأصول البلاغية في كتاب سيبويه، ص ٨٤.

(٣) انظر، همع الهوامع: السيوطي ٣/١٨، والفرائد الجديدة: الأسيوطي ١/٣٣٢، وشرح شذور الذهب، ص ٢١٤، وموجز النحو العربي: محمد عبد البديع، ص ١٦٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويجب حذف ناصب المفعول به قياساً في الأمثال التي جرت كذلك، فلا تغيَّر كقولهم: (كلَّ شي ولا شتيمةَ حرٍّ) أي: ائت ولا ترتكب، وقولهم: (الكلابَ على البقر) بإضمار: أرسل[1]. كما يحذف الفعل في بعض أساليب العربية، لذلك يمكننا أن نتعرض لبعضها مبيّنين المدى الذي يصل إليه حذف الفعل، ولعل أهم تلك المواضع:

أسلوب التحذير: وهو إلزام المخاطب الاحتراز من مكروه بـ (إيّا) أو ما يجري مجراه، وإنما يلزم الإضمار مع (إيّا) مطلقاً، نحو: (إياك والشرّ) فالناصب لإيّا فعل مضمر لا يجوز إظهاره، ومع المكرر (الأسدَ الأسدَ) ومع العاطف، نحو: ﴿نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا﴾ (الشمس١٣) وما عدا ذلك يجوز فيه الإظهار، نحو: احفظ عقلك من الاشتباهات.[2]

ومن المنصوبات مفعولاً به بإضمار فعل واجب الإضمار باب الإغراء، وهو إلزام المخاطب العكوف على ما يحمد عليه، ويضمر الفعل وجوباً لهذا الأسلوب في صورتين: إذا كرر أو عطف، كقولنا: (العهدَ العهدَ) و(الأهلَ والولدَ)، ولا يكون المنصوب على الإغراء ضميراً مطلقاً، ويجوز الإظهار فيما عداهما، نحو: العهد فيجوز أن يقال: الزم أو احفظ، ولا يكون المغرى به إلاّ ظاهراً.[3]

وهذا النوع من الإيجاز في (بابي الإغراء والتحذير) لا يكون لمجرد الاختصار في الكلام، وإنما أيضاً للاحتراز عن العبث بظهوره، ولأن ظهوره يبعد المقصود منهما زمنياً، كما يرى صلاح الدين عبد التواب[4]، وأن الاشتغال بذكره قد يفضي إلى تفويت المهم، وهي فائدة هذين البابين.

---

(١) انظر: همع الهوامع، ١٩/٣.

(٢) انظر: المطالع السعيدة: السيوطي، ص ٣٦٣، والفرائد الجديدة، ٣٣٣/١.

(٣) انظر: المطالع السعيدة، ص ٣٦٤، وشرح شذور الذهب، ص ٢٢٣.

(٤) انظر: الصورة الأدبية في القرآن الكريم، ص ١٤٩.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ويقع حذف الفعل في أسلوب الاختصاص، وهو واجب الإضمار فيه وقدَّره سيبويه[1] بـ (أعني)، وتختص بـ (أيٌّ) الواقعة بعد ضمير المتكلم، نحو (أنا أفعل كذا أيها الرجل)، ويقوم مقام (أي) في الاختصاص مصرّحاً بنصبه اسم دال على مفهوم الضمير معرف باللام، نحو: (نحن العربَ أقرى الناس للضيف) وهو كما يقول عنه ابن هشام: " كلام على خلاف مقتضى الظاهر، لأنه خبر بلفظ النداء، وحقيقته أنه اسم ظاهر معرفة قصد تخصيصه بحكم ضمير قبله"[2] كما يبين أن الفخر أو التواضع أو البيان هو الداعي لهذا الحذف.

ويرد في اللغة حذف الفعل في مواضع يكون فيها حذفاً جائزاً، ومنها[3]: وقوعه في جواب الأستفهام، كقولنا: متى تسافر؟ فتكون الإجابة بأحدِ أمرين: أحدهما، أسافر غداً. والثاني: غداً، ومنه قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (لقمان ٢٥) أي: خلقهنَّ الله، فحذف الفعل ومفعوله هنا منعاً لتكرار فعل الخلق، حتى لا يتشوه النص ويختل التركيب.

كما يحذف فعل القول الذي يقدر بقال أو يقول أو يقولون...الخ، جوازاً؛ طلباً للاختصار ولوضوح الدلالة عليه، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (البقرة ١٢٧) والتقدير : يقولان ربنا.

ولقد كان لحذف هذا الفعل أثر في تصوير هذه الآيات من قصة إبراهيم عليه السلام، وهو يبني الكعبة مع ابنه اسماعيل عليه السلام وفي هذا المشهد حركة عجيبة في الانتقال من الخبر إلى الدعاء هي التي أحيت المشهد وردته حاضراً، فالخبر في

---

(١) الكتاب ٢/٢٣٣.

(٢) شرح شذور الذهب، ص ٢١٦.

(٣) انظر: ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي: طاهر حمودة، ص ٢٣٢-٢٣٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(وإذ يرفع...إسماعيل) كأنما هو الإشارة برفع الستار ليبدأ المشهد : البيت، وإبراهيم وإسماعيل يدعوان هذا الدعاء الطويل. وكم بين الانتقال هنا من الحكاية إلى الدعاء. من إعجاز فني بارز يزيد وضوحاً لو فرضنا استمرارية الحكاية، ولنرى كم كانت الصورة تنقص لو قيل: (وإذ يرفع إبراهيم القواعد من البيت وإسماعيل يقولان ربنا تقبل منا).

فإنها في هذه الصورة حكاية، وفي الصورة القرآنية حياة، وهذا هو الفارق الكبير بين حكاية حياة سابقة وبين حياة حاضرة ماثلة أتى بها تصوير قرآني(١).

ويقع حذف الفعل إذاً في مواطن مختلفة، وأساليب متعددة في اللغة العربية ذكرنا بعضها آنفاً، إلاّ أن بعض العلماء يميل إلى تفصيل الأمر على نمط آخر يتمثل بتقسيمه إلى قسمين(٢)، أحدهما: خاص، وهو ما يمثل حذف الفعل الواجب كالإغراء والتحذير والاختصاص والنداء وغيرها، والآخر: عام، وهو كل منصوب دل عليه الفعل لفظاً أو معنى أو تقديراً، وهو ما يقع فيه الفعل محذوفاً جوازاً كوقوعه في جواب الاستفهام، وفي حذف فعل القول وغير ذلك، وهي تقسيمات لا يُختَلفُ فيها، إلاّ أن دواعيَ في المضمون وراء ذلك لا تُذكر، وإنما أجبنا الإشارة إلى كيفية وجود الفعل محذوفاً في اللغة عند علمائها.

ولا يقع الفعل محذوفاً في التركيب اللغوي عبثاً، لا سيما في الآيات القرآنية، لأن دلالاته تتعدد، وتتنوع تبعاً لاختلاف المواقف والأحداث وهي دلالات لا يمكن حصرها أو جمعها في إطار، ففي باب الإغراء والتحذير مثلاً يقع حذف الفعل للتنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإيتان بالمحذوف، وأن الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت

---

(١) انظر في ظلال القرآن: سيد قطب ١١٤/١، والصورة الأدبية في القرآن الكريم: صلاح عبد التواب، ص ٩٠.

(٢) انظر البرهان في علوم القرآن: الزركشي ٢٣٥/٣ وما بعدها وظاهرة الحذف في النحو: أحمد محمد أبو رعد، مجلة البيان، ع ٢٦٤، ١٩٨٨، ص ٤٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المهم، كما يُحدث ظهوره في الجملة إرباكاً للتركيب، لأنَّه لا ضرورة لذكره، وهو ما يؤدي إلى القضاء على فضيلة الإيجاز وقوة إشارته، وبذلك لا تنحصر الدواعي التي من أجلها يحذف الفعل، وهو ما سنتناوله بالتوضيح لبعض آيات القرآن الكريم في سورة البقرة. والتي منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ بِاتِّخَاذِكُمُ الْعِجْلَ فَتُوبُوا إِلَى بَارِئِكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (البقرة ٥٤).

تُظْهِرُ التراكيب توافقاً تاماً، إذ لا يَشْعُر الإنسان بأي حذف في الآية بسبب من قوّتها وتناسق ألفاظها، فقوله تعالى :"فتوبوا... فتاب" يتضمن الكلام أمراً من الله سبحانه بقوله (فتوبوا)، وقد صدرت إرادة الله تعالى بقوله في نهاية الآية (فتاب) وهي النتيجة النهائية المتحصلة، ولا توبة من الله تعالى على قوم موسى إلاّ باتباع أمره، وهو ما يقدَّر بفعل محذوف، وفيمايلي بيان ذلك الفعل: فقوله تعالى: "فتوبوا" أمرٌ من الله تعالى وهو الطلب، أما قوله تعالى :"فتاب" فهو نتيجة منه وهي الإجابة – وبين الطلب والإجابة فعل من قبل القوم يتمثل بالتوبة والقتل – وحصول هذه الإجابة تمت منه سبحانه بعد أن لقي تحركاً من القوم بالاستجابة لأمره، وهذه الاستجابة مقدرة بـ (فتبتم وقتلتم) وهي التي أوجدت النتيجة (فتاب) وهي ما تمثله البنية الخفية للنص القرآني، وهي على تقدير :(فتوبوا...فتبتم أو فعلتم فتاب عليكم).

وما يوضح ما قلنا ما جاء في البحر المحيط من أنَّ "ظاهره إخبار من الله تعالى بالتوبة عليهم، ولا بد من تقدير محذوف عطفت عليه هذه الجملة: أي فامتثلتم ذلك فتاب عليكم... وظاهر قوله (فتاب عليكم) أنه كما قلنا إخبار عن المأمورين بالقتل الممتثلين ذلك"(١).

وما يزيد الأمر توضيحاً للفعل المحذوف تعليق أبي السعود على هذه الآية عند حديثه عن الفعل (فتاب) بقوله :" عطف على محذوف على أنه خطاب منه سبحانه على

---

(١) البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي ٣٦٩/١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

نهج الالتفات من التكلم الذي يقتضيه سياق النظم الكريم وسياقه فإن مبنى الجميع على التكلم إلى الغيبة ليكون ذريعة إلى إسناد الفعل إلى ضمير بارئكم المستتبع للإيذان بعلته عنوان البارئية والخلق والإحياء بقبول التوبة التي هي عبارة عن العفو عن القتل تقديره: فعلتم ما أُمرتم به فتاب عليكم بارئكم"[1].

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ (البقرة ٦٠).

فقد وقع حذف الفعل في الآية عند قوله :(اضرب بعصاك...فانفجرت) وهو على تقدير: (فضرب فانفجرت)، لأن الانفجار لا يقع دون حدوث الضرب، فسياق الآية دال على الفعل المحذوف، ولا داعي لذكره، فقوله: (اضرب) ثم (انفجرت) يعني أنه ضرب، وإلاّ لَمَا قال (انفجرت) في جواب الأمر، ولألمح إلى شرطية الانفجار بسبب من الضرب أو عند وقوعه.

يدل على ذلك أن انفجرت لا يمكن أن تكون معطوفة على اضرب لأن أحدهما فعل أمر والآخر فعل ماضٍ. فالفاء للعطف على جملة محذوفة، والتقدير: فضرب فانفجرت، كقوله تعالى: ﴿أَنِ اضْرِب بِّعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ (الأعراف ١٦٠) أي: فضرب فانبجست، ويرى أبو حيان[2] أن الذي يدل على هذا المحذوف هو وجود الانفجار مرتباً على ضربه، إذ يبين أنه لو كان يتفجر دون ضرب لما كان لأمر الله تعالى فائدة، ولكان تركه عصياناً، وهذا لا يجوز على الأنبياء عليهم السلام.

وقد بيَّن أبو السعود دلالة هذا الحذف بكمال سرعة وقوع الفعل بقوله :"عطف على مقدر ينسحب عليه الكلام قد حذف للدلالة على كمال سرعة تحقق الانفجار كأنه حصل عقيب الأمر بالضرب، أي: فضرب فانفجرت"[3].

---

(١) تفسير أبي السعود ١٠٢/١.

(٢) البحر المحيط، ٣٩٠/١، وانظر في هذا المعنى، روح المعاني: الألوسي ٢٧٠/١.

(٣) تفسير أبي السعود ١٠٦/١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وحذف الفعل أسلوب في التعبير يعطي التركيب قدرة أكبر على التفكير، ومجالاً أخصب في الدلالة، لأنَّ النص بظاهره لا يعطي تعددية تقديرية، ولا يشغل أبعاد المتلقي الباطنية من تفكيرية وحسيَّة، ففي قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدَوْا مِنكُمْ فِي السَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ (٦٥) فَجَعَلْنَاهَا نَكَالًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلْفَهَا وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة ٦٥-٦٦) أمر الله تعالى في هذه الآية أن يكونوا قردة خاسئين ثم جعلها نكالاً وموعظة، وهذا الترتيب القائم على الكون والجعل، أمرٌ متحتم بغياب ما يفترض أن يكون في ظاهرة التركيب، لأنَّ (الجعل) لا يكون بالأمر إن استجابوا لذلك أو لم يستجيبوا، بل يكون بتحققه، ولا يكون التحقق في التركيب حَسْبُ، وإنما يكون في المعنى كذلك، لأنَّ دلائل النسق اللغوي تغني أحياناً عن ظهوره، وفي أحيان أخرى يكون عدم ظهوره أولى، لأنَّ نسق اللغة يتماشى مع عدم وجوده، ويتضاد بمعناه العميق مع وجوده، كما هو الآن، ففي قوله تعالى :"فجعلناها" يتحتم ثبوت كينونة الأمر بقوله "كونوا قردة"، وهذا يعني وجود فعل في باطن التركيب، وهو غائب في ظاهر اللغة يمكن للمتذوق أن يقدره بقولنا: (فكانوا كذلك)، وعليه يكون الباطن: كونوا قردة خاسئين فكانوا كذلك فجعلناها نكالاً، إلاّ أن النتيجة في قوله تعالى :"فجعلناها" أوحت بتحقق الأمر بشكل قاطع، أي : أشعرت بوجود مثل هذا المحذوف، فـ (الجعل) يكون بتحقق الأمر ولا يكون بإمكانيته – والعياذ بالله – وعليه يكون الحذف أبلغ في الكلام من الذكر، لأنَّه مُشْعِر بوجود المحذوف، وأنَّه أقدر على تحريك فكر المتلقي ومشاعره الذي يعمق الإحساس بإمكانية الولوج إلى منابع قوة النص القرآني، وبالتالي يبين قدرة الإعجاز القرآني وانبعاث تركيب القرآن فوق كل تركيب لغوي آخر.

ولا يكون المقصود بقوله (كونوا قردة) بالأمر حقيقة، وإنَّما أمر بالكون كما يرى أبو حيان[1]، لأنَّ صيرورتهم إلى ما ذكر ليس فيه تكسب لهم، وليسوا قادرين على قلب أنفسهم قردة، وإنَّما القصد سرعة الكون على هذا الوصف، ومجازه أنَّه لما أراد لهم ذلك صاروا كذلك.

---

(١) البحر المحيط ٤٠٩/١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وجاء على هذا النمط قوله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللَّهُ مُخْرِجٌ مَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ(٧٢)فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ (البقرة ٧٢-٧٣) فالترابط في آيات القرآن الكريم حاصل برغم انعدام بعض المفردات أو الأفعال، بل إن انعدامها أعمق في المعنى وأقوى في انبعاث الفكر، لأن إشارات التركيب توحي بما هو غائب ففي قوله تعالى :"فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى" يظهر بأن التركيب ينتقص بعض حلقاته بغياب الفعل في نسقه، إلاّ أنه موجود في ذهن المتلقي وهو على تقدير :(فضربوه فحيي) لأن قوله تعالى :(كذلك يحيي الله) أوحت بما هو غائب، فالإيحاء ساد مسد الغائب – لا جدال في ذلك – لأن النتيجة التي أرادها الله برؤية آياته للناس تقع بأمره، ولعل إيصال النتيجة بأقصى ما يمكن للمتلقي دون تشتيت لفكره، هي التي دعت إلى امّحاء حلقة المحذوف في التركيب، وهي النتيجة التي يلزم بروزها لتصل دون انقطاع أو ابتعاد عن قوله: (وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها والله مخرج ما كنتم تكتمون)، ليبيّن كيفية إخراج الله تعالى ما كانوا يكتمون، وبها يُشْعِرُ، بل يصرح بلزوم الإخراج لِمَا كانوا يكتمون، وعليه يكون التفكير ثم التغيير إلى الاستجابة الحقة.

وما يتعلق بآدم عليه السلام وزوجه عندما خالفا أمر الله سبحانه، بالأكل من الشجرة التي نهى الله تعالى عن الأكل منها، فقد جاء الحذف في تلك الآيات على الفعل ففي قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ(٣٥)فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ﴾ (البقرة ٣٥-٣٦) جاء الفعل محذوفاً في قوله سبحانه "اسكن أنت وزوجك الجنة" إذ التقدير: اسكن أنت وليسكن زوجك، فيكون لفظ (زوجك) فاعل لفعل محذوف. وعلى الرغم من أن (اسكن) لا يتعلق بـ (زوجك) وأن الفعل الخاص بهذا اللفظ جاء محذوفاً، إلاّ أن السكن واحد لهما، وهو ما جعل توحدها في المأكل، فالفعل الخاص بـ (زوجك) مستغنى عنه بالفعل الأول (اسكن) وهو ما ترتب عليه صدور المخالفة بحقهما الاثنين، وإنزالهما إلى الأرض، ولولا ذلك لما كان العقاب، إضافة إلى وجود الألفاظ الدالة على توحد الخطاب لهما: (كُلا، ولا تقربا، فتكونا) وبالتالي يمكننا تقدير الفعل المحذوف دون

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ذكره، لأن وروده في التركيب يعني ضعف الإحساس به أو إيراد أفكار لا ينبغي إيرادها.

وفي قوله تعالى :" فأزلهما" فعل محذوف أيضاً ناتج عن الزلل، تقديره: فأزلهما فأكلا فأخرجهما، لأنه لا يكون الزلل (الحمل على الزلل) دون العمل ثم الإخراج، فالخطاب الذي حذرهما الله منه هو الأكل، وهذا يعني أن الأكل حدث بسبب من الزلل الذي أوقع الأكل، فكان العقاب بالإخراج، ولا داعي لإيراده، لأنه مدلول عليه بالتركيب عند قوله: (فأزلهما فأخرجهما) وبالرغم من ذلك فإنه لا بد من وجود إيحاء لهذا المحذوف ناجم عن الأكل، إذ الأكل هنا محرمٌ من الله سبحانه، وإتيانه يترتب عليه عقوبة، وعليه مُنِعَ ذِكْرُه، لأنه سبب العقوبة القاسية.

وقد ورد في سورة البقرة أن يكون المحذوف فعلاً لمفعول مطلق، كقوله عَّز وجل: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (البقرة ٨٣). وهو على تقدير: أحسنوا بالوالدين إحساناً، لأن (الواو) في قوله (وبالوالدين) لا تدخل فيما قبلها، فلا نقول: ولا تعبدوا بالوالدين، وما حَذْفُ الفعل إلاّ تحول طرأ على بنية التركيب، وما البناء العميق لها إلا كما قُدِّر بإدخال الفعل، ولا يمكن أن يكون هذا التحول عبثاً في البناء، وإلغاءً لِمَا يمكن أن يكون معمّقاً لمعنى الآية، بل إنه صرخة في عمق المعنى توقظ كل المشاعر والأحاسيس الإنسانية التي تدفع الإنسان إلى الاعتناء بوالديه والإحسان إليهما.

ولا يُحْدِثُ الحذف هنا قلقاً لنسق الآية، لأن المصدر (إحساناً) من جنس الفعل المحذوف، وهو بحد ذاته قوة مؤكدة للمتلقي لطريقة التعامل مع الوالدين، وهو ساد مسد الفعل، ومعطٍ كل ما يمكن أن يعطيه بكل دلالاته وإيحاءاته، عندها لا داعي لذكره، وحتى لا يبتعد معنى عبادة الله سبحانه عن الإحسان إلى الوالدين، لأنَّ الرحم معلق بعرش الرحمن كما دلت السنة المشرفة، فقرب اتصال لفظ الجلالة (الله) مع لفظ الوالدين يقرِّب لنا الصورة في درجة العبادة لله تعالى، ودرجة الإحسان للوالدين، والصورة الأخيرة مرتبطة بالصورة الأولى، لأن الإحسان إلى الوالدين درجة من

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

درجات عبادة الله ونوع منه، فإذا كانت العبادة مرتبطة بالله عز وجل، فإن الإحسان مرتبط بالعبادة، والارتباط الثاني نوع من الأول وجزء منه.

وحذف الفعل في هذه السورة يقع مبيناً دلالات عِدَّة، وهو حذف يطرأ على الصيغة التعبيرية هدفه توكيد الكلام وتقويته، لأنه التغيُّر الذي يحدث في تركيب الكلام، وهذا التغير بالنقص تحول في نسق الآية، ومن هذا التحول قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة ٩٧).

فتبيَّن هذه الآية أن الله سبحانه أنزل القرآن على النبي محمد صلى الله عليه وسلم بوساطة جبريل عليه السلام، رغم عداوة الناس لجبريل ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ﴾، إذ تمثل هذه الآية تحدي الله سبحانه للبشر بنزول القرآن الكريم، أما الحذف الواقع في الآية فيكمن في قوله:"فإنه نزله" وهو على تقدير: فليمت غيظاً، وكان غياب المقدر فاصلاً بين طرفي الآية:

$$\text{عدو} \overset{\text{ل}}{+} \text{جبريل} = \text{النزول} \overset{\text{على}}{+} \text{القلب}$$

هذان الطرفان اللذان فرض وجودهما الفاصل المحذوف، هو الذي شجع المتذوق على البحث فيهما والنظر في تماثلهما وتناقضهما معاً في آن واحد.

ويمكننا أن نرى الطرفين وفق النظرة التالية لنرى مدى أثر المحذوف ودوره في معاينة النص وبيان مداه:

إذْ ربما يفرض غياب الفعل (فليمت غيظاً) بُعْداً مغايراً عن ذكره، ففي الآية يتبين أن نزول القرآن على قلب النبي صلى الله عليه وسلم، مصدقاً وهادياً ومبشراً مهما يكن عدو جبريل، وهذا يعني أن نزول القرآن تحدٍ آخر ومعجزة أخرى من

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

معجزات وتحديات الله سبحانه إلى الناس، ومعجزة أخرى من معجزات النبي محمد صلى الله عليه وسلم المصدقة والهادية والمبشرة، وهذا ما أُكِّد فيما بعد (بعد نزول القرآن) بمعنى أن الله سبحانه تحدى البشر بكل ما يملكون من وسائل القوة، وكان وجه تحديه هنا أن ينزل القرآن الكريم على قلب النبي الأمي، ويكون هذا التحدي مصدقاً وقد كان، وهادياً وقد كان، ومبشراً وهذا ما سيكون يوم القيامة.

وقد وقع الحذف في قوله عز وجل: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ (البقرة ١٣٢) إذ يفهم من التركيب أن الفعل الذي يمكننا تقديره بـ (يقول) في قوله: "ويعقوب يقول" محذوف، وهو الفعل الذي لا يجذب انتباه القراء بخلق ثغرة في النص، ولكن غيابه على مستوى التركيب لا يعني الكثير، وإنما قد يبدي تعاملاً أكثر فاعلية من وجوده على طريقة السرد، وهي التي تعمق تواصل المتلقي للأحداث فيه دون انقطاع أو توقف، الأمر الذي يتماشى وبلوغ الفكرة من السرد بتواصل وتتابع، بينما يُشْعِرُ وجود المحذوف بما لا يشعره الحذف من تواصل واستمرار.

كما يُظْهِرُ الحذف بأن الوصية لإبراهيم ويعقوب هي :(إنَّ الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلاّ وأنتم مسلمون)، بينما يُظهِرُ وجود الفعل وقوعها ليعقوب أي وقوع النص ليعقوب، ووقوع معناه ربما لإبراهيم، وقد تكون الوصية لإبراهيم أنه قد أسلم لرب العالمين. وهناك فرق بين وصية تحمل الإسلام لصاحبها وأخرى تدعو إلى الدين الإسلامي مع أن الاثنتين قد يفهم منهما الدعوة إلى الدِّين، إلاّ أن الأولى بالتلميح والثانية بالتصريح، والثانية في مثل هذا أقوى وأجرأ لإعلان دين الله.

ويستمر حذف الفعل في هذه السورة دوراناً في الآيات، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾ (البقرة ١٣٨).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فيبدو الحذف هنا واضحاً في قوله (صبغة الله) لأنَّ الآية لا تخبر عن الدين الأحسن، وهو دين الله في خاتمة عرض مستفيض عنه، وإنَّما تشير إلى الأمر باتباع صبغته. فالحذف إذاً مقدَّر بقولنا :(اتبعوا صبغة الله) والذي أفهم هذا المعنى هو سياق الآيات السابقة في حديثها عن دين الله.

فـ(صبغة) لفظ منصوب بفعل محذوف، ولعل تقديره متوافق مع الصياغة اللفظية في إعطاء المعنى المناسب، إلاّ أن حذفه يفتح باب توكيد الصبغة الأحسن، لأنَّ الاستفهام بقوله تعالى :(ومن أحسن من الله صبغة؟) يقرر أفضلية دين الله، فهو سؤال مؤكد في مضمونه الأفضلية.

فغياب الفعل في التركيب يقوي أثر تلقيه في نفس المتلقي، ولا سيما أنَّ اتباع دين الله لا يكون ظاهراً وجوباً، وإنَّما يكون باطناً، والباطن غائب وبالتالي يتوافق حذف الفعل و باطن المتلقي في الإيمان والاتباع، وهو توكيد للاتباع لأنَّه مزروع في وعي المؤمن وفي مخيلة غير المؤمن، لأنّ دين الله معروف للجميع بأفضليته، انطلاقاً من قولنا: إنَّ عدم الرد في بعض الحالات رد، وحتى أقوى من الرد. فلزوم إتباع صبغة الله هو الأمر الذي توجهه الآية، حتى نظفر بأفضلية الدين.

ووقع حذف الفعل أيضاً في قوله عز وجل: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ (البقرة ١٨٤)، حيث نصبت (الأيام) هنا بفعل محذوف تقديره: صوموا أياماً، والقرينة التي دعت إلى حذفه حالية تُفْهَمُ من السياق، فالكلام عن الصوم كان في الآية التي سبقتها. لذلك كان الأمر واضحاً بتقديرنا للفعل المحذوف، وإذا كان الصوم هو الامتناع فإنَّ التركيب أيضاً جاء صائماً عن الفعل ليوافق الصوم في معناه.

ويبقى الفعل معلقاً بين وعي المتلقي، وإحساسات قارىء القرآن، وبين نسق الآيات، عند خضوعها للتفكير، ففي قوله تعالى: ﴿كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ (البقرة ٢١٣) فقد جاء التركيب

© Arabic Digital Library Yarmouk University

في هذه الآية على حذف فعل يقدر بـ (فاختلفوا فبعث الله) لأن الحكم بين الناس بإرسال النبيين هنا لا يكون للأمة المتوحدة على الدين، وإنما يكون عند ظهور الفتن والاختلافات بين هذه الأمة، وعليه يتبيَّن أن التركيب بحاجة إلى فعل مقَدَّر، والذي أغنى عن وجود هذا الفعل هو قوله تعالى فيما بعد:"فيما اختلفوا فيه" وهذا يعني أن الأمة اختلفت فبعث الله النبيين ليحكموا بين الناس.

وقد أفاد الفعل (كان) أن الناس أمة واحدة فيما خلا من الزمن، بقوله (كان الناس أمة واحدة)، فيعرف ضمناً أن الناس لم يعودوا أمة واحدة ثم قال سبحانه :(فبعث الله النبيين) وهذا يؤكد أيضاً أن هناك خللاً حدث للأمة الواحدة، فكان البعث من قِبل الله سبحانه ليصلح تلك الأمة، وليحكم بينهم بالحق.

فإعطاء معنى الماضوية للشيء عند استخدام فعل يفيد الماضي يعني أنك تنفي ثبوت ذلك المعنى الموجود في الوقت الحالي، كما نقول: كنت طالباً مجتهداً، هذا يعني أنك الأن لست كذلك، وفي الآية (كانوا أمة واحدة) يعني أنهم الآن ليسوا أمة واحدة. فيفترض التدخل من قبل الله تعالى لإصلاح هذه الأمة التي انقسمت، فقال :(فبعث) وهذا لا يوافق الفعل (كان) في معناه بالرغم من نوعهما الموحَّد (الماضي)، أي: لا يكون الفعل (بعث) إلى زمن كان الناس فيه أمة واحدة، لذا لا بد من تقدير فعل آخر غير موجود في السياق لكنه مفهوم ضمناً يكمن بقولنا:(فاختلفوا) عندئذ يتلاءم الفعل (بعث) ما ضوي المعنى مع الفعل (اختلفوا) حاضر المعنى مقارنة مع (بعث) فصار الكلام: عندما اختلفوا بعث الله النبيين.

فغياب الفعل يعطي المتلقي إحساساً بقيمته التفكيرية، عندها يكون التركيب أبلغ وأكثر قوة.

ولو كان الكلام دون حذف لَمَا تحرك ذهن المتذوق في التأمل والتفكير، إذْ لا مجال لذلك، لأن جميع المعطيات مطروحة وظاهرة، ولو ظَهَرَ فإنه لن يجذب انتباه المتلقي.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومما يقع فيه الفعل محذوفاً مجيؤه في جواب استفهام كقوله عز وجل: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِن نَّفْعِهِمَا وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ الْعَفْوَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ (البقرة ٢١٩).

فكانت الإجابة عن السؤال: ماذا ينفقون؟ مباشرة: العفو وهي على تقدير فعل محذوف هو (ينفقون العفو)، والذي دعا إلى حذف الفعل ذكره في صيغة السؤال، ولأنَّ الإجابة (العفو) هي الأمر الذي يريد السائل الوصول إليه، كما أنَّ سرعة البديهة تنتقل دائماً في الإجابة المتسرعة إلى المقصود تماماً.

فالإجابة المباشرة هنا مشبعة لسؤال الذين يؤمنون، لأنَّ كل تفكيرهم ذاهب إليها، وحتى تكون الإجابة مباشرة دون تفكير أو تأويل أو مماطلة، ولأن السائل يحب غالباً الإجابات القصيرة الموفية للغرض.

وأخيراً، كان الفعل محذوفاً في كلام الله تعالى عن الطلاق حين قال: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة ٢٣٦) والآية تتحدث عن طلاق النساء قبل الدخول فيهنَّ، ومؤداها: إن أردتم أن تطلقوا النساء ما لم تمسوهن فطلقوهن ومتعوهن. فيكون الكلام على تقدير فعل محذوف هو (فطلقوهن ومتعوهن على الموسع قدره...) والذي يشير إلى ذلك قوله فيما بعد: (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن...).

فالتمتع لا يتم إلاّ بعد حدوث الطلاق، وإنما حُذفَ الفعل (فطلقوهن) حتى لا يكون أمراً من قبل الله بهذا الفعل، وحتى لا يستخدمه أصحاب النفوس الضعيفة في تأويلاتهم. فغيابه يعني رفضه من قبل الله أو كراهته، فقد جعل الطلاق أبغض الحلال عنده، لذا لم يرد أن يستخدم فعل الأمر (طلقوهن)، وإنَّما استخدام لفظ الطلاق مشروطاً، فقال سبحانه :"إن طلقتموهن".

فكراهة الطلاق توازي كراهة ذكر الفعل، أملاً بالابتعاد عن الطلاق ودرساً لتعلم ذلك.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الثالث:

حذف الجمل وتفسيره عند النحويين والبلاغيين

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

تدور الأحداث وتبرز معطيات الألفاظ بوساطة الجملة في عربيتنا، وبها يستطيع الإنسان إيصال الأفكار والمعاني إلى الآخرين، إلاّ أنّ تحولاً يطرأ على بنية التركيب الجملي يسمى الحذف، لا يحدث خللاً في المعنى، وإنما يولج إلى دلالات التركيب الخفي بالألفاظ التي أخفيت، والجمل التي أضمرت. وتحذف الجمل من الكلام تجنباً للإطالة، وجنوحاً إلى الاختصار. ومن الجمل التي وقعت محذوفة في سورة البقرة:

حذف جملة الشرط

تختص الجمل الشرطية بإيقاعها وتلازم مركباتها النحوية، والاهتمام بالمعنى الوارد فيها، وتمثل مقاطعها ونبراتها سمة مميزة نحوياً ودلالياً، وجملة الشرط "ضرب من الجمل الدالة على تلازم مركبين اثنين يقعان في عملية إسناد واحدة، وقد قسَّم النحاة الجملة الشرطية إلى شرط وجواب" [1]

والجملة الشرطية إحدى أنواع التراكيب النحوية التي يلحقها الحذف فيُسْقِطُ أجزاءها، وفعل الشرط أحد هذه الأجزاء، فيحذف وحده، وشرطه أمران: "دلالة الدليل عليه، وكون الشرط واقعاً بعد (إلاّ) كقولك: (رتب وإلاّ عاقبتك) أي: وإلاّ ترتب عاقبتك، وقد لا يكون بعد إلاّ فيكون شاذاً، إلاّ في نحو (إن خيراً فخير)"[2]

وفيما يزيد الأمر توضيحاً في الحكم على حذف الفعل في أدوات الشرط الثلاث: (إن ولو وإذا)، قول أحدهم: "ويجوز حذف فعل الشرط مع بقاء مرفوعه ظاهراً مفسراً للفعل المحذوف مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ﴾ (التوبة ٦) والتقدير: إن استجارك أحد أستجارك، وهذا الحكم خاص بالأدوات الثلاث (إن) و(لو) و(إذا)، ويجوز حذف فعل الشرط وفاعله مع بقاء مفعوله متلواً بالمفسر، وهذا يسمى بالاشتغال، مثل: إن زيداً رأيته فسلم عليه، التقدير: إن رأيت زيداً رأيته، وهذا حكم خاص بالأدوات الثلاث"[3].

---

(1) بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية: المنصف عاشور، ص ١٥٧.

(2) شرح شذور الذهب: ابن هشام، ص ٣٤٣.

(3) المنتخب في كلام العرب: محمد جعفر الكرباسي، ص ١٤١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولا تقتصر جملة الشرط على حذف الفعل وحده، وإنَّما يحذف معه حرف الشرط، فيستغنى عنها بجملة الجواب. ويكون الحذف "مطرداً بعد الطلب نحو: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ (آل عمران ٣١) أي: فإن تتبعوني يحببكم الله وجاء دونه نحو: ﴿إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ﴾ (العنكبوت ٥٦) أي :إن لم يتأت إخلاص العبادة لي في هذه البلدة فإياي فاعبدون"(١).

ولا بد أن دلالات بلاغية تقف وراء هذا الحذف في الجمل التي تقع فيها،لاسيما في آيات الكتاب العزيز، فتتعدد وتتنوع تبعاً للموقف والسياق الذي تقع فيه، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة ٢٢)، ففي قوله عز وجل (فلا تجعلوا لله أنداداً) كان الشرط وفعله محذوفين، وهو على تقدير: إذا كان الأمر كذلك فلا تجعلوا لله أنداداً، أي: إنَّ الفاء في (فلا) واقعة في جواب شرط محذوف. فما هي ميزة هذا الحذف؟ ربما تعود القوة في التركيب إليه، لأنَّ جواب الشرط على تقدير المحذوف هو الأقدر على إظهار المقصود من الشرط كله، إذ الحدث المهم هو (لا تجعلوا لله أنداداً) سواء كان بشرط محذوف أو بغير شرط، فتداعيات الآية أفاضت لنا بمباشرة الجواب كونه المغزى والغاية.

ومن منظور آخر لا يمكن للشرط وفعله أن يكون مع قوله تعالى : "وأنتم تعلمون"، لأنهم يعلمون حقيقة أن الأمر كذلك من عند الله ولا مجال لوجود شرط حتى يعلموا، وهو مفهوم ضمنياً.

ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾ (البقرة ٤٠).

---

(١) مغني اللبيب: ابن هشام ٦٤٦/٢، وانظر في حذف الفعل والأداة؛ شرح شذور الذهب ص ٣٤٣.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

ففعل الشرط جاء محذوفاً هنا عند قوله سبحانه "وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم" فالشرط محذوف وفعله، أي: أوفوا بعهدي فإن توفوا، أو فإن فعلتم ذلك أوفِ بعهدكم.

فالأمر في قوله (أوفوا) ساد مسد الشرط وفعله، ولا حاجة لوجوده فيها؛ لأنَّ الأمر في قوله (أوفوا) والرد عليه بقوله (أُوفِ) دال على الشرطية بكل ما تحمل، أي لا يتم العمل دون إتمام الأمر، وهو تماماً كالشرط، فلا يقع الجواب دون أن يقع الفعل، فالجملة:

أوفوا ← أوفِ = الأمر والإجابة

إن توفوا ← أوفِ = الشرط وفعله والإجابة

ففي التركيبين الأمري والشرطي يتبين أنَّ الأمر يسد مكان الشرط لكون الشرط داخلاً فيه، عندئذٍ تكون القوة الأمرية أقوى وأبلغ أثراً من الشرط وحده؛ لأنَّ الإجابة هنا محققة غرضين؛ غرض الأمر وغرض الشرط المتضمن الأمر، وهو ما نجده في الآية السابقة.

أما وجود الشرط وحده فيخفف من حِدَّة المعنى في النفس، ويقلل من قوة التركيب نوعاً ما، لذا جاء الحذف في الشرط وفعله.

ومن حذف جملة الشرط في هذه السورة أيضاً، قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطَايَاكُمْ وَسَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ (البقرة ٥٨).

فالحذف في قوله : (قولوا حطة نغفر لكم خطاياكم)، وهو على تقدير: إن فعلتم أو قلتم ذلك نغفر لكم خطاياكم، فجواب الأمر مجزوم في الحقيقة بشرط محذوف، والشرط المفهوم بالإشارة لا بد أن يكون له جلٌّ في النفس أعمق من الشرط الظاهر؛

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

لأنّ الظاهر يمكنك الوصول إلى قوته مباشرة، أما الخفي فتزداد إدراكاً لقوة معناه بعد تعب النفس وبحثها.

فالغفران هنا مترتب على العمل بالدخول والقول، وعدم إتمام هذا العمل يعني الوقوف عن أداء النتيجة (الغفران). كما يُشْعر الجواب أنَّ غياب الشرط، يعني غياب عدم العمل، ويفهم إتمام العمل، وبالتالي وجود الجواب يعني وجود النتيجة، وعليه تتساوى البنية الظاهرة، مع البنية الخفية للنص في المعنى، وبطريقة رياضية نقول:

شرط وفعل محذوفان ← عدم الوجود
غياب جملة الشرط ← النتيجة (الغفران)

وهذا يعني تشجيع على غياب الشرط وفعله وحلول العمل، ليتحقق الثابت لفظاً وهو الغفران.

فالدلالات النفسية هنا ركزت على النتيجة (نغفر) لتحث على العمل بوجود النتيجة، وتمنع شك وجودها، فإذا ثبت الطرف البعيد كان من السهل إتيان الطرف القريب، وهو الذي بِوُسْعِنَا أداؤه، وإنَّما الحذف من الطرف الذي لا يمكننا السيطرة عليه. لذلك جاءت الآية بجواب الشرط وأثبتته وأخفت الشرط وفعله، لتؤكد لنا ذلك.

ومما حذف فيه جملة الشرط في سورة البقرة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ (البقرة ٢٦٠).

فكان الحذف واقعاً في الشرط وفعله عند قوله سبحانه: "فخذ أربعة من الطير" وهي على تقدير: إن أردت أن تطمئن فخذ أربعة من الطير.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ربما الوصول إلى النتيجة المترتبة لسيدنا إبراهيم عليه السلام ، كونها موطن سؤاله، ومحل طمأنينته، أدى إلى حذف الشرط وفعله، ومن جهة أخرى لا داعي لوجود الشرط في التركيب، لأنَّه غير موجود في نفس سيدنا إبراهيم، كونه السائل عن الكيفية التي يحيي بها الله الموتى. فهو جاهز لاستقبال أي شيء وقلبه مطمئن دون أدنى شرط. فغيابه في نفس سيدنا فرض غيابه في التركيب، وهو أمرٌ طبيعي بل حتمي، لأنَّه لا يجوز أن يقال: إن أردت أن تطمئن فخذ أربعة من الطير، بسبب وجود سؤال سيدنا إبراهيم: كيف تحيي الموتى؟.

فلا يمكن أن يكون سؤال وشرط في نفس سيدنا إبراهيم في الوقت الذي يطلب فيه إجابة، فالذي يسأل عن شيء يستجيب لأي شيء مقابل الوصول إلى إجابته. من هنا كان غياب الشرط وفعله أولى وألزم للتركيب.

فكان الجواب من الله سبحانه ملبياً رغبة سيدنا إبراهيم، حتى لا يكون في نفسه حيرة، وهي دالة على أنَّ النبي الذي يبعثه الله يكون مطمئناً، لأنَّه عالم بمدى قدرة الله، وواثق من رسالته، فالله تعالى لا يجعل في نفس نبيه شيئاً من الريبة وإنما يصفيه وينقيه يملؤه بالمعاني الإيمانية التي لا وجود لسواها في نفسه، فيستجيب لتساؤلاته حتى يكون كذلك، أي: ثابت اليقين، ذا قلب سليم.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

حذف جواب الشرط

إنّ المركب الآخر من الجملة الشرطية (جواب الشرط) أكثر أجزاء الجملة الشرطية تعرضاً للحذف بشرطين: "أحدهما: أن يكون معلوماً، والثاني: أن يكون فعل الشرط ماضياً، تقول: أنت ظالم إن فعلت، و لوجود الأمرين، ويمتنع (إن تقم) و(إن تقعد) ونحوهما، حيث لا دليل لانتفاء الأمرين، ونحو (إن قمت)، حيث لا دليل لانتفاء الأمر الأول، ونحو (أنت ظالم إن تفعل) لانتفاء الأمرين" (١).

وبذلك يكون حذف الجواب على ثلاثة أوجه(٢): ممتنع وهو ما انتفى منه الشرطان أو أحدهما. وجائز، وهو ما وجدا فيه، ولم يكن الدليل الذي دل عليه جملة مذكورة في ذلك الكلام متقدمة الذكر لفظاً كقولهم (أنت ظالم إن فعلت)، ويُقدَّر لها صورتان، إحداهما: قولك (إن قام زيد أقوم) والأصل: أقوم إن قام زيدٌ.

والثانية: أن يتقدم على الشرط قسم نحو (والله إن جاءني لأكرمنَّه) فإنّ قولك: لأكرمنه جواب القسم، وحذف جواب الشرط لدلالته عليه. والوجه الأخير في حذف جواب الشرط هو الواجب وهو ما كان دليله الجملة المذكورة.

ويجري حذف العبارة الجوابية في حالات منها(٣): إذا عرف معنى الجواب وإذا توسطت الأداة، كقوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا﴾ (آل عمران ٩٧)، وفي الجواب عن الاستفهام كقول القائل: أتعطيني درهماً؟ فأقول: إن جاء زيد.

ولا يحذف جواب الشرط غالباً، لأنّه معروف أو لأجل اختصار الجملة، وإنّما الأغراض البلاغية المتعددة تقتضي ذلك، لأنّ الحذف أمر يقتضيه المعنى المراد بيانه

---

(١) شرح شذور الذهب، ابن هشام، ص ٣٤٣.

(٢) انظر السابق ص ٣٤٧-٣٥٠.

(٣) الجملة الشرطية عند النحاة العرب: أبو أوس الشمسان، ص ٣٤٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وإيصاله، لذا وضع أحمد مطلوب[1] دواعي يحذف لأجلها الجواب منها: الاختصار كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾ (الرعد ٣١) أي لكان هذا القرآن إلاّ أنّا لا نرى الاختصار باعثاً قوياً على الحذف، وإنّما المعاني التي يمكن للمرْء تقديرها والتي تشغل النفس، ولا يمكن التعبير عنها هي الدافع، مع أنّه قد يقع الحذف لأجل الاختصار.

كما يحذف الجواب للدلالة على أنّه شيء لا يحيط به وصف، أو لتذهب نفس السامع كل مذهب، ويقع الحذف لعلم المخبر بوضع الكلام، وهذان الدافعان يحمل عليهما كثير من الأجوبة المحذوفة.

وتميل لغتنا في كثير من الأحيان إلى الإيجاز والاختصار وعدم التكرار، عندئذٍ يقع الحذف،لاسيما في جواب الشرط، وجاء ذلك في أسلوب القرآن الكريم، ومنه ما جاء في سورة البقرة، كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة ٢٣) فكان الحذف للجواب عند قوله :"إن كنتم صادقين" فالحذف واقع في جواب الشرط، لأنّ إشارية التركيب أوحت بهذا المحذوف مسبقاً من جهة، ولأنّ الوقوف عند هذا الكلام يؤكد مصداقية المؤمنين بالعمل والإتيان، فالتقدير: إن كنتم صادقين فافعلوا ذلك أو فأتوا بسورة من مثله.

فالوقوف على الظاهر يشدد على تحريك المشاعر المؤمنة والأحاسيس التي تغص بالإيمان، وبهذا يكون المحذوف في بنيته العميقة محركاً للنزعات الإيمانية حتى تظهر.

وفي قوله عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ (البقرة ٩٨) جاء جواب الشرط بـ"مَنْ" محذوفاً،

---

(١) أساليب بلاغية، ص٢١٩.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وهو على تقدير: لا وجه لعداوته أو فليمت غيظاً أو فهو كافر[1]؛ لأن الداعي إلى وجود مثل هذا المحذوف في التركيب معدوم بسبب قوله تعالى: "فإنّ الله عدو للكافرين" إذ استطاع هذا الجزء من الآية أن يعطي المتذوق إحساساً عميقاً بكل ما يحمله المحذوف في المعنى. وما قدّر هو أقصى ما يمكن تقديره ربما، لكن يبقى الإحساس ينقص هذا التقدير موجوداً، وهو الأثر الذي يزرعه مثل هذا المحذوف في مخيلة المتذوق، فبلوغ الدقة للمحذوف أمرٌ ربما يكون مستحيلاً بالرغم من فهم المعنى عنده، إلاّ أن دقة المقدّر ربما لا تصل إلى المستمد من المشاعر، لكنها تقرّبهُ. فكأنّ تركيب الآية يشير إلى فرضية غياب الجواب بسبب مما يلي:

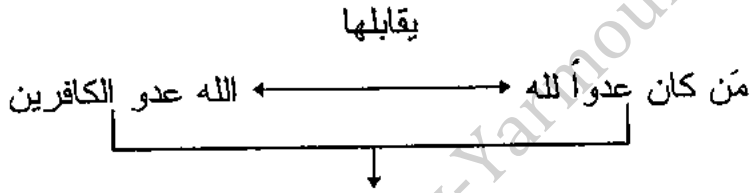

أي من كان عدواً لله فلا داعي لعداوته، لأن القوة التي يقارعها ويعاديها لا حدود لها، وهي النتيجة المفهومة من السياق. فالمحذوف هنا مغطى عليه بقوله تعالى: "الله عدو للكافرين" فهي تعطي المتلقي يقيناً بعدمية وجه تحدي الإنسان لله سبحانه، لأن الكافر خاسر لا محالة في عدائه لله سبحانه، أي:

من كان عدواً لله = كافر

عدو

الله ←——الكافر

ويعلّق أبو السعود على عداوة الله سبحانه للكافرين بقوله :"ووضع الكافرين موضع المضمر للإيذان بأن عداوة المذكورين كفر، وأن ذلك بيّن لا يحتاج إلى الإخبار به، وأن مدار عداوته تعالى لهم وسخطه المستوجب لأشد العذاب والعقوبة هو كفرهم المذكور"[2].

---

(1) انظر البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي ٤٩٠/١.

(2) تفسير أبي السعود، ١٣٤/١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ومما جاء على حذف جواب الشرط في هذه السورة قوله تعالى: ﴿وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ (البقرة ١٦٥)، فكان حذف جواب (لو) الشرطية أمراً عظيماً في مضمونه، ويمكن أن يكون: لعلموا أنَّ القوة، فهذا العلم لا يكون غيابه في النص عدم العلم، ولا يكون حذفه إسقاطاً لماهيته، وإنَّما شيوعه، ودرايتهم به فرض إسقاطه، فقوله سبحانه :"وأنَّ الله شديد العذاب" هو الذي دعا إلى الإسقاط، لأنَّ الشرط وفعله مشتران بالجواب، فالعلم والدراية لا تكون في الألفاظ حَسْبُ، وإنما تكون في المعرفة عند رؤية العذاب، فلا داعي لإيراد الجواب، لأنَّ النتيجة واقعة بوقوع فعل الشرط.

وأفضل ما يمكن أن نقتبس تعليقاً على هذا المحذوف قول العكبري: "جواب (لو) محذوف وهو أبلغ في الوعد والوعيد، لأن الموعدَ والموَعَّد إذا عرف قدر النعمة والعقوبة وقف ذهنه مع ذلك المعيَّن. وإذا لم يعرف ذهب وَهمه إلى ما هو الأعلى من ذلك، وتقدير الجواب، لعلموا أنَّ القوة، أو لعلموا أنَّ الأنداد لا تضر ولا تنفع، وحذف جملة الجواب والتقدير: ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب لكان منهم ما لا يدخل تحت الوصف من الندم والحسرة"[١]

فحذف الجواب في مثل هذه الآية يَذهب في النفس كل مذهب ويجول بها مقدراً المعنى، إلاّ أنَّها تجده أعمق وأقوى فيها، ويكون باعثاً على التفكير والتأمل، لخروجه عن دائرة البيان أو لعدم الإحاطة بكنهه أو لضيق العبارة عنه.[٢]

وفي قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ﴾ (البقرة ١٨٠)، كان حذف جواب إذا،

---

(١) التبيان في إعراب القرآن ١/١٣٥.

(٢) تفسير أبي السعود ١/١٨٦.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وهو ظرف لما يستقبل من الزمان متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب المحذوف، أي: فليوص[1].

وكان جواب (إذا) محذوفاً بسبب من إشعاعات النص التي توحي بالمعنى، ولا سيما في قوله :"إن ترك خيراً الوصية"، وما يدلنا على الجواب المحذوف هو تأملنا في قوله:" إذا حضر أحدكم الموت" فالحذف جاء خوفاً من طمس دلالات خفية يصل إليها المتلقي بالذكر، تابعة من مشاعره وأحاسيسه.

أما حذف جواب (مَنْ) الشرطية، فكان في قوله: ﴿سَلْ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَمْ آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةٍ بَيِّنَةٍ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ (البقرة ٢١١)، وهو على تقدير: يعاقبه وهي جواب (مَن) التي يُشْعَرُ بها في باطن النص، وقدِّر هذا الجواب، لأنَّ قوله سبحانه "فإنَّ الله شديد العقاب" هي محصلة وخاتمة كل مَنْ يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته آياته.

وقوله تعالى :"فإنَّ الله شديد العقاب" مشبع لإيصال فكرة التهديد لأولئك المبَّدلين ليبتعدوا عن هذا العمل، لأنَّ اقتران لفظ الجلالة بشدة العقاب أمرٌ يجعل من الصعوبة بمكان على ذوي العقول أن يقتربوا من الخطأ أو يتجاوزوا حدود الله. وما يؤكد ذلك قول أحدهم: "ومَنْ يبدل نعمة الله عاقبه أشد عقوبة، فإنه شديد العقاب، وإظهار الاسم الجليل، لتربية المهابة، وإدخال الروعة"[2].

وجاء جواب (إنْ) محذوفاً في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ عَزَمُوا الطَّلَاقَ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة ٢٢٧)، وهو على تقدير: إن عزموا الطلاق فلا تؤذوهم بقول ولا فعل، فإن الله يسمع ذلك ويعلمه.[3]

---

(1) التبيان في إعراب القرآن : العكبري ٢٥٧/١.

(2) تفسير أبي السعود ٢١٣/١.

(3) مغني اللبيب: ابن هشام ٦٤٨/٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

فتتحدث الآية عن طلاق النساء وتربصهن أربعة أشهر، فإن عُزِمَ بعد ذلك على الطلاق فلا بأس أن يكون، لكن دون أذى، لأنَّ الله تعالى يسمع ويعلم.

فقوله تعالى :"إنّ الله سميع عليم" غطّت على كل أذى يمكن أن يكون، أو قطعت عليهم الطريق حتى لا يكون أذى، فما الحذف هنا إلاّ تسريع بالتذكير بأن الله سميع عليم، ولأنَّ النهي بالإشارة الواضحة إلى سماع الله وعلمه بكل شيء أقوى بكثير من النهي عن الشيء، لأنَّ الثاني داخل في الأول ومغنٍ عنه.

وجاء في البحر المحيط تقدير آخر ينص على إيقاع الطلاق بقوله: "يظهر أن جواب الشرط محذوف تقديره: فليوقعوه، أي: الطلاق، وهو دليل على أنَّ الفرقة التي تقع في الإيلاء لا تقع بمعنى الأربعة الأشهر من غير قول، بل لا بد من القول، لقوله (عزموا الطلاق)، لأنَّ العزم على فعل الشيء ليس فعلاً للشيء"[1].

وبهذا يظهر تقدير آخر وهو وجوب إيقاع الطلاق بعد انقضاء المدة ونحن نأخذ بالتقديرين، إيقاع الطلاق وكفُّ الأذى، وبهذا يكون حذف الجواب معطياً دلالاتٍ عدة لفائدة الجماعة المسلمة.

حذف جملة القسم

يقع القسم في اللغة العربية محذوفاً، ومن ذلك جملته، لا سيما إذا دلت عليها جملة الجواب، وهو لازم[2] مع غير الباء من حروف القسم، كقولنا: لأفعلنَّ، أو لقد فَعَلَ. وهي أجوبة مُشعِرةٌ بفعلٍ تركيبها بجملة القسم (حرف القسم والمقسم به).

ويحذف فعل القسم ويكون حذفه على ضربين، الأول: واجب، والثاني: جائز، أما وجوب حذفه فمع حرفي القسم (الواو) و(التاء) التي لا تستعمل في القسم إلاّ مع (لفظ الجلالة) كما يجوز حذفه وإثباته إذا كانت الباء هي حرف القسم. كما يجوز حذف المقسم به في كثير من النصوص.[3]

---

(1) البحر المحيط، أبو حيان الأندلسي، ١٩٤/٢.

(2) انظر، مغني اللبيب: ابن هشام ٦٤٥/٢.

(3) انظر، المنتخب من كلام العرب: محمد الكرباسي، ص ٢٣١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد يحذف في العربيَّة فعل القسم والمقسم به، وفي ذلك يقول محمد الكرباسي:"وقد يحذف فعل القسم والمقسم به معاً، ويبقى في الكلام ما يدل على معنى القسم كأن يكون فيه فعل مضارع دال على المستقبل، ومؤكد بالنون متصلة به اللام، كما في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ﴾ (الهمزة ٤) أو يكون فيه اللام الموطئة، وهي التي تتصل بـ (إن) الشرطية.... وقد يكون دليل حذف فعل القسم والمقسم به حرف التحقيق (قد) إذا اتصلت به اللام، وتقدمتها واو القسم وتلاه فعل ماض، كقوله: ﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ﴾ (الأحزاب ١٥)"[1].

فتحذف جملة القسم برمتها في الكلام، إذا كان جوابها دالاً عليها، لا سيما إذا كان مقترناً باللام ومؤكداً بالنون كقولنا: لأسافرنَّ.

وتحذف جملة القسم في القرآن الكريم، بالرغم من أنَّها تأتي مؤكدة للخبر (المقسم عليه)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ (البقرة ٨٣)، إذ "لا تعبدون" جملة جواب لقسم محذوف دل عليه قوله :"أخذنا ميثاق بني إسرائيل"، أي: استحلفناهم والله لا يعبدون، فلفظ الميثاق فيه تأكيد على العبادة لله سبحانه يُشْعِرُ باليمين، فلا داعي لإيراد لفظ خاص به، فلا نقول: وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل فاستحلفناهم والله لا تعبدون؛ لأنَّ في ذلك تكراراً لمعنى اليمين، والتكرار في مثل هذه الحالة يحدث خللاً في التركيب، إذ السائغ في الجملة الإشعار بمعنى الحلف، لأنّه الأقرب إلى الإقناع بالإيمان والعبادة لله.

وعند قوله تعالى: ﴿وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة ١٠٢) وقع حذف جملة القسم، في قوله:"ولقد علموا لمن اشتراه" فاللام فيها جواب قسم محذوف، إذ يمكننا القول: والله لقد علموا، وجاء عن أبي حيان قوله: "واللام في (لقد) للقسم هذا

([1]) السابق، ص ٢٣٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

مذهب سيبويه، وأكثر النحويين، وجملة (ولقد علموا) مقسم عليها، التقدير: (والله لقد علموا)"[1]. وقد حذف المقسم به هنا للإشارة إلى أهمية الخبر الذي توصلنا إليه الآية وهو العلم. فالحذف هنا يدركنا بمدى التركيز على الحدث.

إذ بوجود المقسم به يكون الالتفات إلى القسم والمقسم به أكثر من التركيز على الحدث، بقولنا: والله لقد علموا لمن اشتراه.

فإذا كانت (قد) تفيد التحقق من هذا العلم الذي حصل لديهم، فلا مجال لتوكيد هذا الأمر بالقسم لكون المخفي مُشْعِراً بذلك وموكِّداً كذلك.

صحيح أنَّ توكيد التوكيد، توكيد أقوى، إلاّ أنَّ ظهور هذا التوكيد (القسم) قد يحدث قلقاً للنص، فإذا كان بالإمكان الاستغناء عنه مع بقاء المعنى واضحاً في الذهن، فلم لا يكون؟ ألا نستطيع أن ندرك معنى القسم بقوله :"ولقد"؟ فالإجابة حتماً، بلى نستطيع، عندئذٍ يكون إخفاء القسم أولى لأنّه أقوى في النفس.

كما وقع حذف جملة القسم في قوله تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَى عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ (البقرة ١٢٠).

فالحذف واقعٌ في قوله سبحانه :"ولئن اتبعت أهواءهم" فاللام في (لئن) تسمى الموطئة والمؤذنة بقسم مقدّر قبلها، ولذلك جاء الجواب (مالك) وكان فعل الشرط ماضياً في اللفظ، لأنَّ جوابه محذوف يدل عليه جواب القسم.

---

(1) البحر المحيط، ٥٠٢/١.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

فإذا اجتمع الشرط والقسم، ولا تقدم القسم ودخل الشرط بينه وبين الجواب كان الجواب للقسم، وأغنى عن جواب الشرط، وإن تقدم الشرط كان الجواب له وأغنى عن جواب القسم"[1].

فاجتماع الشرط والقسم هنا ربما هو الذي دعا إلى إخفاء القسم أو المقسم به كون الشرط تحقق للأشياء (الأمور) بضوابط، فكان القسمُ تأكيداً لهذه الضوابط، لكنه تأكيد للبنية المعنويَّة للسياق، إذ هو مخفي في تركيب النص، لأنَّ الشرطَ موجود.

وفي قوله عز وجل: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ (البقرة ١٤٥)، فقوله (ما تبعوا) جواب القسم المؤذنة به اللام، وتقدير المحذوف هو: والله لئن أتيت.

فوجود اللام أغنى عن وجود المقسم به؛ لأن الدال على الشيء كفاعله، واللام هنا مُشْعِرٌ بالمقسم به، لأن الأمر لا يدعو إلى إعلانه أو التصريح به.

والحديث عن الكافرين موجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم فهو لا يحتاج إلى توكيد من الله سبحانه، إذاً لا داعي لظهور المقسم به، وإنما يكفي الإشعار بهذا القسم، ليؤكد للآخرين صفات أولئك الخارجين عن أمر الله.

حذف جملة أو أكثر

تُحذف الجمل كثيراً في العربيَّة، ويطرد[2] ذلك بعد أحرف الجواب، يقال: أقام زيد؟ فتقول: نعم، وألم يقم زيد؟ فتقول: نعم، إن صدقت النفي، وبلى؛ إن أبطلته، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَىٰ﴾ (البقرة ٢٦٠)، والتقدير: بلى آمنت.

ويقع الحذف في الأجوبة، لأن بنية السؤال هي التي أغنت عن إعادة الألفاظ في الجواب، لذا يكون فيها الحذف والاختصار كثيراً .

---

(١) أسلوب التوكيد في القرآن الكريم: محمد حسين أبو الفتوح، ص ٢٤٥.

(٢) مغني اللبيب: ابن هشام ٦٤٨/٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وبعد نِعْم وبِئْس إذا حذف المخصوص، وقيل: إن الكلام جملتان نحو (إنا وجدناه صابراً نعم العبد). وبعد إن الشرطية، كقوله[1]:

قَالَتْ بَنَاتُ العَمِّ يَا سَلْمَى وإنْ ... كانَ فَقِيْراً مُعْدَماً؟ قَالَتْ: وإنْ

أي: وإن كان كذلك رضيته.

ومما وقع الحذف في هذا النوع في آيات الله سبحانه، قوله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ (البقرة ٥٧).

فيُظْهر تركيب الآية توافقاً تاماً على الرغم من وجود محذوف في بنيته، يدعو إلى اقتصار الآية في قوله :"كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا"، حيث حذف تركيب جملة وهو على تقدير: فعصوا ولم يقابلوا النعم بالشكر وما ظلمونا.

فالآية تتحدث عن عصيان قوم موسى عليه السلام بأن أنزل الله تعالى عليهم المن والسلوى، ليأكلوا منه فرفضوا عناداً وكفراً، فكان ظلمهم لأنفسهم لا لغيرهم.

ووجود المحذوف في الكلام يعني: إطالة التركيب القرآني، وبما أنه لا داعي لوجود هذا المحذوف كونه مُشْعَراً به، حتى لا تكون الإطالة، فإن وضوح التركيب مغنٍ كل الإغناء عن الجملة المحذوفة، ومعطٍ للتركيب تركيزاً كون الحديث عن الظلم الذي جيء به، للإحاطة بمدى الذنب الذي ارتكبه أصحاب موسى (قوم موسى).

فقِصَر التركيب فائدة في عمق المعنى، إذ به يصير المعنى ظاهراً ويصير الكلام قوياً تتعدى دلالاته النص إلى النفس كونها الباحث، والمليء بالشعور القرآني الإيماني الرحب، فالنفس عندما تصل الأحداث بخواتيمها دون أي انقطاعات تطيل تلك الأحداث – لأن في الإطالة خلقاً لثغرات نفسية، فتبعد الوصول إلى المعنى – تُشْعِر بلذة

---

(1) مغني اللبيب: ابن هشام ٦٤٩/٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

النتيجة التي وصلت إليها، كما تُشْعِر بمدى ترابط الألفاظ بعضها ببعض، فيستقر فيها معنى الإعجاز اللغوي القرآني، وبه تزيد من حدة الإيمان بالله.

وفي قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ (٢٥٠) فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ (البقرة ٢٥٠-٢٥١).

وقع حذف الجمل عند قوله: (فهزموهم)، على أن تجعل الفاء عاطفة على جمل محذوفة يقتضيها سياق الكلام، أي: فنشبت المعركة، والتحم الجيشان فهزموهم.(١)

وهو ما يوحي به التركيب كون الهزيمة نتيجة معركة دارت، فلا مجال لأن نقول: دارت الحرب وتصارع الجيشان وحدث الانتصار، فالبلاغة تكمن في قصر الأحداث والولوج إلى النتيجة دون نقص في المعنى، فالغاية الانتصار. والأحداث التي حُقِّقَتْ مسارات ثانوية لا داعي لتفصيلها.

أما ما يتعلق بحذف جمل من نسق الآية فهو ما نجده في قوله سبحانه: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة ٢٥٩).

فكان المحذوف بقوله "ولنجعلك" وهو على تقدير: أريناك ذلك لتعلم قدرتنا ولنجعلك آية للناس، وهذا مدلول عليه عندما أماته الله تعالى مائة عام ثمّ أحياه وسأله وكانت الإجابة: يوماً أو بعض يوم. إذ ندرك أن الله سبحانه فعل ما فعل ليجيب عن السؤال بما يحمله عقل السائل من تفكير ومدركات، وما الحذف إلاّ تقريب للجعل الذي

---

(١) إعراب القرآن: محيي الدين درويش ٣٧٤/١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

هيأه الله تعالى له. فالعبرة هي الحدث الذي يمكننا الالتفات إليه لأنَّ قوله :"انظر إلى طعامك وشرابك" ثمّ "انظر إلى حمارك" إظهار لمدى الشعور بالنقص البشري، وتبيين لقدرته سبحانه، وهي في الحقيقة الإجابة التي يرنو إليها السائل.

وقد قيل إنَّ الفاء في قوله :"فلما تبين له" "للعطف على محذوف يستدعيه الأمر المذكور كأنه قيل: فأنشزها الله وكساها لحماً فلما تبين له قال: أعلم أنَّ الله على كل شيء قدير، وإنَّما حذف للإيذان بظهور تحققه واستغنائه عن الذكر، وللإشعار بسرعة وقوعه" [1] لأنَّا نفهم من قوله :" أعلم أنَّ الله على كل شيء قدير" أن الأمر تحقق وقوعه أمام ناظريه، أي كانت الإجابة عن السؤال بالإنشاز والإكساء فكان التثبت واليقين، عندئذٍ تمّ الإقرار.

وما الحذف هنا إلاّ تقليص لمعطيات القصة وأجزائها، حتى تكون الفكرة جاهزة في ذهن المتلقي على أتم وجه؛ بسهولة ويسر عن طريق الإيجاز، وحتى تكون أبلغ في إيصال المراد. فالإطالة في مثل هذه القصص لا تقدم للمعنى شيئاً، بل يمكننا القول إنها تقزّم من معطياتها بالملل الذي يَبْلُغُ المتلقي.

وفي خاتمة الآيات التي لحقها حذف الجمل، وما يندرج تحتها من إيحاء ودلالة، نتوقف عند قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(البقرة ٢٦٠) فإبراهيم عليه السلام آمن بالله تعالى، ولكنه هنا أراد أن يطمئن بحقيقة ثابتة مرئية شأنه شأن غيره من بني البشر، لتؤكد الآية أنه منهم، وهي حقيقة الخلق. فسأل الله تعالى أن يحيي أمامه الموتى، فما كان من الله سبحانه إلاّ أن لبّى طلبه ليقنعه بذلك، وقد وقع الحذف عند قوله: "فصرهن إليك ثمّ اجعل على كل جبل منهن جزءً" والمعنى: واضممهن إليك وقطعهن أجزاءً مختلفة ثمّ اجعل على كل جبل منهن جزءً . هذا ما

([1]) تفسير أبي السعود ١/٢٥٥.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يدرك بالذوق وبه تتذوق جمال الإيجاز. فقوله سبحانه :"اجعل على كل جبل منهنّ جزءاً" أفهمت أن سيدنا إبراهيم كان أمامه تقطيع الطير وتجزئته ثمّ تفرقته، وبذلك يكون الإقناع والطمأنينة لقلب سيدنا.

فالإيجاز الذي سبب الاختصار هو الإعجاز الذي لا يستطيع أحد الإتيان بمثله مع بقاء المعنى، هذا الإعجاز القرآني إعجاز لغوي تحدى به الله البشرية. وقد يكون إشعاراً بترك المجال للمتلقي أنْ يقدّر ما يقدّر في التقسيم والتجزئة والتفرقة، إذ لو ذكر المحذوف، لتدخل العقل بقوله: إن التقسيم كان واضحاً ومحدداً، لذا ترك الله تعالى الأمر مفتوحاً، ليتصور الإنسان ما يمكن تصوره من تجزئته عليه السلام للطير، ثمّ ليبيّن قدرته سبحانه في إحيائه.

كما يرتبط هذا المحذوف بقوله :" فخذ أربعة من الطير" إذ تتداخل لحومها وعظمها وجلدها معاً عند التجزئة ويستصعب فرزها، بل يستحيل لتكون المعجزة بإحياء كل واحد منها بلحمه وعظمه ودمه.

فقد ترك الله تعالى كيفية التجزئة والخلط لسيدنا إبراهيم، وترك تصورها لنا، لنتخيل ما يمكن أن نتخيله من صعوبة في إعادتها. وهنا تتيقن النفس بكل حواسها ومدركاتها بقدرة الله سبحانه، ليس هذا حَسْبُ، وإنما تشعرنا بقدرته على إقناع البشر. ومن هنا يؤكد سبحانه هيمنته على الأشياء وفوقيته عليها، ويحركنا لعبادته سبحانه، ويدفعنا إلى القول بأنَّه مَنْ خرج عن دينه على الرغم من هذا الإقناع خارج عناداً وكفراً.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المبحث الرابع:

"حذف الحروف وتفسيره عند النحويين والبلاغيين"

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

حروف الجر

إن كلام العربية بأقسامه (اسم وفعل وحرف) يقع عليه الحذف، وقد بينا آنفاً وقوعه على كلٍّ من الاسم والفعل، وسنوضح وقوعه في هذا المبحث على الحرف، بالرغم من أن له طبيعة خاصة تتسم بالربط والإيصال والإضافة، كما بيَّن سيبويه حذف حروف الإضافة بقوله: "وأما حروف الإضافة، فليست بظروف ولا أسماء، ولكنها يضاف بها الاسم إلى ما قبله أو بعده: فإذا قلت: مررتُ بزيدٍ، فإنما أضفت المرور إلى زيد بالباء، وكذلك: هذا لعبدالله، وإذا قلت: أنت كعبدالله، فقد اضفت لعبدالله الشبه بالكاف" (١).

وقد بين شارح المفصل أن العرب تحذف الحروف في الاستعمال، تخفيفاً في الكلام عندما يقوى الفعل الذي لا يصل إلى مفعوله إلاّ بحرف، فقال: "فلما ضعفت (أي الأفعال) أفضى القياس تقويتها لتصل إلى ما تقتضيه من المفاعيل، فرفدوها بالحرف، وجعلوها موصولة لها إليها، فقالوا: مررت بزيد، وعجبت من خالد، وذهبت إلى محمد، وخص كل قبيل من هذه الأفعال بقبيل من هذه الحروف، هذا هو القياس، إلاّ أنهم قد يحذفون هذه الحروف في بعض الاستعمال، تخفيفاً في بعض كلامهم فيصل بنفسه فيعمل"(٢).

ولكن هل يكون التخفيف في الاستعمال وحده وراء هذا الحذف؟ أظن أنَّ الأمر لا يقف عند عجز المتكلم النطق بمثل هذه الحروف، فالأمر ربما يحتاج إلى دواعٍ أخرى، لأنه لا يكفي بأن نقول: إنَّ التخفيف على اللسان هو الغرض من هذا الحذف، أحسب نفسي يراودها شك في ذلك، إذا ما قست هذا الكلام عليها، فالأمر لا يخلو من أغراضٍ تركيبية دلالية، ولو كان الأمر متعلقاً بالتخفيف ما مِلْت إليه، مع أنَّ بعض المحدثين يميل إلى الخفة بقول أحدهم: " وهناك بعض الجمل التي حذف منها حرف الجر، فأدّى ذلك إلى نصب الكلمة، وهو ما اطلق عليه النحاة: النصب على نزع الخافض في مثل : سافرت الشام، وذهب المسجد، وانطلقت الصيف، فقد كان أصل هذه الجمل: سافرت إلى الشام،... ومن هنا كان من الأفضل لنا أن نقول: إن طلب الخفة قد

---

(١) الكتاب ٤٢١/١.

(٢) شرح المفصل: ابن يعيش ٥٠/٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أثّر في الأفعال المتعدية بأحد حروف الجر، فجعلها تتعدى بنفسها، ومن هذه الأفعال في اللغة: دخل، ذهب، انطلق، وصل...الخ".(١)

ويبدو أنّ الصعوبة في استخراج الدلالة من هذا الحذف هو الذي يجعلهم يقولون بهذا الكلام، فالأمر لا علاقة له بالخفة والصعوبة، وإذا كان، فهو أمر ثانوي، لا هدف رئيسيّ، فأي تخفيف هذا والزركشي يقول :"فلو ذهبت تحذف الحرف؛ لكان ذلك اختصاراً، واختصار المختصر إجحاف به، إلاّ إذا صح التوجه إليه، وقد جاز في بعض الأحوال حذفه لقوة الدلالة عليه. فمنه الواو تحذف لقصد البلاغة؛ فإنّ في إثباتها ما يقتضي تغاير المتعاطفين، فإذا حذفت أشعر بأنّ الكل كالواحد"(٢) فهذا كلام أكثر إقناعاً، والسبب فيه يعود إلى المعنى الذي يحدثه هذا الحذف.

ويقول علماء اللغة إنّ هذه الحروف يكثر حذفها في مواضع ويقل في مواضع أخرى، يقول ابن يعيش :"وقد كثر حذفها (الحروف) مع أنْ الناصبة للفعل، وأنّ المشددة الناصبة للاسم، نحو: أنا راغب في أن ألقاك، ولو قلت: أن ألقاك من غير حرف جر جاز، وكذلك تقول في المشددة: أنا حريص في أنّك تحسن إليّ، ولو قلت: أنّك تحسن إليّ من غير حرف جر جاز"(٣)

وهذا الاطراء جاء به ابن هشام بقوله عند الحديث عن حذف الجارّ : "يكثر ويطرد مع أنّ وأنْ نحو ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ (الحجرات ١٧)، أي: بأنْ، ومثله: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي﴾ (الشعراء ٨٢) و ﴿وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا﴾ (المائدة ٨٤) و ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ﴾ (الجن ١٨)، أي: ولأنّ المساجد لله. وجاء في غيرهما، نحو: ﴿وَقَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ﴾ (يس ٣٩) أي قدّرنا له و ﴿وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ (الأعراف ٤٥)، أي: يبغون لها. ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ﴾ (آل عمران ٧٥). أي يخوّفكم بأوليائه،

---

(١) ظاهرة التخفيف في النحو العربي: أحمد عفيفي، ص ٣٢٥.

(٢) البرهان في علوم القرآن ٢٤٧/٣.

(٣) شرح المفصل ٥١/٨.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

وقد يحذف مع بقاء الجر كقول رؤبة –وقد قيل له كيف أصبحت؟– "خير عافاك الله"، وقولهم: بكم درهم اشتريت"[1].

فمواضع الاطراد كثيرة في عربيتنا كما أشار إليها العلماء،[2]، إلا أنها تحذف سماعاً أيضاً "فتنصب المجرور بعد حذفه تشبيهاً له بالمفعول به، ويسمى أيضاً المنصوب على نزع الخافض، نحو قوله: ﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾ (هود: ٦٠)، أي: كفروا بربهم، والنصب بعد الحذف السماعي واجب خلافاً للحذف القياسي"[3].

وهذا يكون الفعل فيه في حكم المتعدي، وليس بالمتعدي حقيقة، لأنَّ بعض العلماء ذهب إلى أنَّ مثل هذا الفعل الذي تعدّى بنفسه، وهو غير ذلك، متضمن معنى فعلٍ آخر متعدٍّ بنفسه، كقولنا: لا تعزموا السفر، فقد عُدِّي الفعل (تعزم) إلى المفعول به مباشرة مع أنَّ هذا الفعل لازم لا يتعدى إلاّ بحرف الجر، فيقال: أنت تعزم على السفر، ولكن وقعت التعدية لتضمين الفعل (تعزم)، وهو فعل لازم، معنى الفعل المتعدي: تنوي.[4].

ولا نريد خوضاً موسعاً في هذه الأقوال التي تبيّن وقوع الحذف على الحرف، وإنما يكفينا ما ذكرناه، لنخوض في إشارات هذا النوع دلالياً في آيات الله سبحانه في سورة البقرة، نبدؤها ببعضٍ مما جاء فيه حرف الجر (إلى) محذوفاً كقوله سبحانه: ﴿وَقَالُوا لَن يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَىٰ﴾ (البقرة ١١١)، فقد وافق النص القرآني تركيب العربيَّة في الحذف الواقع على الحروف، وكان وقوعه على حرف الجر (إلى) عند قوله :(لن يدخل الجنة)، مع أنَّ الفعل (يدخل) يحتاج إلى رابط يصله بمفعوله، إلاّ أنَّ نص الآية جاء على غير ذلك، فقد وُصِلَ الفعل بمفعوله دون رابط، فالبنية

---

(١) مغني اللبيب ٦٤٠/٢.

(٢) انظر، تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد: ابن مالك، ص ١٤٨. المنتخب من كلام العرب: محمد الكرباسي، ص ١٢٣، والنحو الوافي: عباس حسن ٥٣٢/٢، والنحو والصرف: عاصم البيطار، ص ٢١٦،

(٣) المنتخب من كلام العرب: محمد الكرباسي، ص ١٢٥.

(٤) انظر، النحو الوافي: عباس حسن ١٦٩/٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

العميقة لتركيب الآية تعطينا تفكيراً بابتعاد مَنْ ليس هودياً ولا نصرانياً عن الجنة، أي: بقطعية عدم دخول الجنة في نظر اليهود والنصارى، ولو كان التركيب على الأصل، باستخدام حرف الجر (إلى) الذي يفيد انتهاء الغاية، لَمَا أفاد الغاية التي رمى إليها اليهود والنصارى، ولأصبح التركيب قاصراً عن معانيهم.

وهنا وافق التركيب دخول المسلم الجنة، لأنَّ المسلم هو المعنيُّ بقولهم (إلاّ من كان هوداً أو نصارى)، أي: أنَّ الفعل أخذ مفعوله (يدخل ← الجنة) والمسلم يدخل الجنة -إن شاء الله- (المسلم ← الجنة) فكلاهما (الفعل والمسلم) تعدّى إلى غايته ومطلبه دون وساطة، بل بنفسه.

ويَظْهر أن مثل هذا الحذف يمكننا أن نرى فيه أثراً موجباً في المعنى، فالتعبير القرآني لا يمكن أن يأتي بتركيب دون فائدة، فانظر -أيضاً- قوله تعالى في الفعل نفسه: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَى فِي خَرَابِهَا أُولَئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ﴾ (البقرة ١١٤)، فقد تم هنا أيضاً تعدى الفعل (دخل) إلى المفعول دون وساطة حرف الجر، وهو أمر يستدعي النظر فيه، فالفعل في بنيته العميقة يحتاج إلى حرف الجر (إلى) ليتواءم الفعل و التركيب، لنقول :(أن يدخلوا إليها)، فالدخول يكون إلى الشيء، فنقول: يدخل إلى الجنة، لأنَّ سعي الإنسان المسلم في الأرض وغايته منه هو النهاية السعيدة بدخول الجنة، وهذا يعني أنَّ وجود حرف الجر يفيد الوصول بالتدرج إلى الجنة عن طريق العمل، أي: عليه أن يتبع أوامر الله سبحانه ويتجنب نواهيه للوصول إلى غايته.

أما استخدام الفعل دون هذه الوساطة فيعني أنَّه سبحانه قطع الأمر مباشرة دون تدرج، وهو أمر بعدم دخولهم الجنة. والسبب في ذلك أعمالهم التي تنافي الوصول والتي أشار إليها عند قوله :"ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يُذْكَر فيها اسمه وسعى في خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها".

فلا داعي إلى إعطاء فرصة العمل، بإستخدام (إلى)لكون الإجراءات المحظورة واردة عندهم.

© Arabic Digital Library Yarmouk University

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (البقرة ١٤٨).

فقد حُذف هنا حرف الجر، وأصل القول : واستبقوا إلى الخيرات، وقد ذكر أبو حيان الأندلسي، "أنَّ (استبق) بمعنى: تسابق، فهو يدل على الاشتراك ﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ﴾ (يوسف ١٧)، أي: نتسابق كما تقول تضاربوا، واستبق لا يتعدى، لأنَّ تسابق لا يتعدى، وذلك أنَّ الفعل المتعدي إذا بُنيت من لفظ معناه تفاعل للاشتراك صار لازماً...، فلذلك قيل: إنّ (إلى) هنا محذوفة، التقدير: فاستبقوا إلى الخيرات"(١).

فالسَّبْقُ تنافسُ أكثر من طرف للوصول إلى شيء ما، وهنا كان تسابقُ الأمم نحو الخيرات، وقد جاء التركيب بفعل متعدٍّ دون حرف، لِمَا لهذا التركيب من أثر في دلالة أبلغ، فقد وُصِلَ الفعل بالخيرات دون حرف، ليشار إلى مدى قرب هذه الخيرات (وهي من الله سبحانه) من الفعل (وهو من الناس).

وهذا يعني أنَّ الله سبحانه قَرَّب الخير من الناس وألصقه بعملهم، فهم يأخذونه مباشرة إنْ كان فعلهم لله سبحانه.(فاستبقوا الخيرات) يعني أنَّها موجودة بفعل الاستباق، فالتناسب بين الاستباق والخيرات طردي، أي: كلما زاد تقترب، وكلما نقص تبتعد.

فالفعل كما تبيَّن عمل دون حرف الجر (إلى) وهو يعمل أيضاً دون وساطة (في)، كقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ (البقرة ١٣٠) فالكلام على حذف الحرف (في) الذي يفيد الظرفيه في أصله عند تقدير القول: سفه في نفسه، وهذا يعني أنَّ السفه داخل في النفس، أي أنَّه مؤثر فيها، والسفه في الشيء إصابة جزء منه، لأنَّ ظرفيَّة (في) تعطي الدخول في الشيء، والدخول يصيب الجزء، أما قوله تعالى فيعطي العموم والشمول، أي: أنَّ نفس مَنْ رغب عن ملة إبراهيم عليه

(١) البحر المحيط ٦١٢/١.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

السلام ملعونة مسفوهة كلها. فكليلة النفس معنى أفاده الحذف، وبذلك يتضح لنا مدى الخطأ الذي يرتكبه مَنْ يرغب عن ملة إبراهيم، بالكبر والعظمة، أي:

يوازي

عِظَمُ الخطأ ←——— سفه النفس

ربما قال سبحانه

ولو كان السَّفه صغيراً ←——— سفه في نفسه

فربما أفاد (في) معنى (مِنْ) في التبعيض، كما نقول: دخلت في البيت، أي أنني أخذت جزءاً منه بدخولي، بينما لا يُشْعِرُ الحذف بهذا المعنى.

وفي قوله عز وجل: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ (البقرة ١٥٨)، حُذِفَ الحرف وهو على تقدير: في أن يطوَّف بهما، إلاّ أن بنية السطح جاءت مستغنية عن هذا الحرف، فلا نرى غير أنَّ قوله :(فلا جناح) ووجود (في) أمرٌ لا يتفق والمعنى، إذ به يكون الكلام مُضْمِراً لمعنى آخر، يتضح بأن التركيب دون الحرف يشمل إباحة الطواف كله، على أي صورة، أما وجود الحرف فيعني أنَّ الشمول خاص بجزء من هذا الطواف، إضافة إلى استساغته بالحذف، لأنّه قادر على إيصال المراد، ففي قولنا: فلا جناح عليه في أن يطوَّف بهما، كثرت الحروف: (لا) و(على) و(في) و(أنْ) وهذه الكثرة قوَّت وجود خلل في دقة إيصال المعنى، لأنَّ جزءاً من التفكير يذهب في هذه الحروف المتوالية، لكن انظر إلى صحة التركيب كما في الآية، وإلى مدى قوته وتعانق ألفاظه. فربما اختصار الألفاظ في هذا النص هو الداعي إلى مثل هذا الحذف، لتكون القوة في صحتها، إضافة إلى أنَّ حذف الحروف مع (أنْ) قياس إذا لم يلبس.

ولنتبيَّن دلالة الحذف عند قوله سبحانه: ﴿فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يَتَرَاجَعَا إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (البقرة ٢٣٠)، وهي دلالة تُظهرُ حذف الجار (في) عند قوله :"أن يتراجعا"، وهو على تقدير: في أن يتراجعا، إلاّ أنَّ انعدام معنى الحرف، والذي يدل على الظرفية أو التعليل، هي التي اسقطته من السياق، فوجوده قد لا يغيِّر في المعنى شيئاً من قوة أو ضعف، لذا كان اختصاره بالحذف أوجب، تمشياً مع أنماط لغوية كثيرة يقع فيها هذا الحذف، بقصد الاختصار.

ويحذف الحرف (في) في الآيات القرآنية كما يحذف الجار (من)، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ (البقرة ٢٦)، وهو على تقدير: لا يستحي من أن يضرب، ويبدو أنَّ الكلام بالحذف يعني دخول الضرب مباشرة على الفعل (يستحي)، وهذا يعني التصاق الضرب بعدم الحياء، أما بتقدير المحذوف فيعني أنَّ الحياء يتفق والضرب، ولكن بفاصل يوازي الزمن الذي يأخذه الجار (من).

أمَّا قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة ٢٩). فقد كان حذف الجار (من) الذي يفيد التبعيض عند تقديرنا: فسوّى منها سبع سماوات، وهذا يعني أن هناك غير هذه السماوات في الوجود عندما سوّى الله سبحانه هذه السماوات السبع، أي أنها بعض ما في الوجود من سماوات، وهو أمرٌ لا يُعْرف بعد، لذا كان الحذف. وقد تعدى الفعل بنفسه حتى لا يعطي هذا المعنى (المقدَّر). وقد يكون بمعنى (جعل) فتعدى دون وساطة.

وتبقى حذوفات الجار، في هذه السورة مطروحة، لتصل إلى حذف (عن) عند قوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَبَدَّلِ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ (البقرة ١٠٨). أي: أن الكافر يعرف الطريق السليم، إلاّ أنه يضل نفسه عنها، ولذلك كان الحذف، وتقديره: عن سواء السبيل، وبه يعني أنه تجاوز الطريق السليم دون علم بها، أما بالحذف فهو يعرفها حق المعرفة ومع ذلك أضل نفسه عنها، مع سبق إصرار وترصد، قاصداً تبديل الإيمان بالكفر. كما جاء قوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

عَلَيْكُمْ﴾ (البقرة ٢٣٣) على حذف (اللام) عند قوله "أولادكم" على تقدير: لأولادكم، "وقول الجمهور هو أنْ يتعدى استرضع إلى اثنين الثاني بحرف جر محذوف من قوله (أولادكم) والتقدير: لأولادكم"(١).

إذ يصبح الكلام بالجار، إن أردتم أن تسترضعوا لأجل أولادكم، لأن اللام هنا ربَّما تفيد الملكية، بينما يكون الحذف خاصاً الرضاعة بالأولاد، ولأجلهم، فلا داعي بعدئذٍ إلى ذكر الجار، بل دونه تكون النفس أكثر ارتياحاً وقبولاً كون (اللام) لا يحدث معنى إضافياً للنص القرآني.

وفي قوله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ﴾ (البقرة ٢٥٨) حُذِفت (اللام) وهو على تقدير: لأن آتاه الله الملك، فـ (أن آتاه) واقع في المفعول لأجله، وبه يكون الكلام الذي حاج إبراهيم في ربه عندما آتاه الله الملك. وهي" على معنى أنَّ إيتاء الملك أبطره وأورثه الكِبَر والعتوّ فحاجَّ لذلك"(٢).

وروي عن العرب أنهم حذفوا (الباء) في جواب الاستفهام، كقولنا: كيف حالك؟ فالإجابة :خير، والتقدير: بخير، فحذف الباء. إلاّ أنه وقع مع أنْ محذوفاً عند قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً﴾ (البقرة ٦٧)، وللمسألة هنا عند أبي حيان مسوّغان، تنظرهما بقوله :"وأنْ تذبحوا في موضع المفعول الثاني ليأمر، وهو على إسقاط الحرف: أي بأن تذبحوا، ولحذف الحرف هنا مسوّغان، أحدهما: أنه يجوز فيه إذا كان المفعول متأثراً بحرف الجر، أن يحذف كما قال: (أمرتك الخير فافعل ما أُمرِت به)، والثاني: كونه مع أنْ وهو يجوز معها حذف حرف الجر، إذا لم يلبس. ودلالة الكلام على أنَّ المأمور به أن يذبحوا بقرة، فأي بقرة كانت لو ذبحوها لكان يقع الامتثال"(٣). فمصدر التشريع الإلهي جاء من الأمر بالذبح، وعليه فإنَّ المعنى متضح

---

(١) البحر المحيط: أبو حيان الأندلسي ٢/٢٢٨.

(٢) الكشاف: الزمخشري ١/٣٣٢.

(٣) البحر المحيط، ١/٢١٤.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

في صورة المتلقي، ولا مجال إلى الالتباس، أما دخول الباء فلا أظنها دالة على غير ذلك، لذا منع التركيب الجار.

ـ متفرقات

لم تقتصر السورة على مواضع حذف الجار، وإنما احتوت مواضع أخرى لحروف عدَّة، لتؤكد أن القرآن يشمل أنواعاً كثيرة من هذه الحذوفات، تؤثر في المعنى. ومن ذلك حذف همزة الاستفهام، وقد جُوِّز حذفها إذا دل عليها دليل، لذا قال طاهر حموده فيها: "نرى أن حذفها في اللُّغة المنطوقة أكثر وأظهر، حيث يعتمد الناطق على التنغيم، وهو عامل هام في تصنيف الجمل إلى أنماطها المختلفة من إثباتية واستفهامية وتعجبية...الخ، بالإضافة إلى ما يتوفر من قرائن حالية، والتنغيم وحدهُ كافٍ دون ذكر الهمزة في الدلالة على الاستفهام"(١).

وقد يحذف حرف النداء – أيضاً – لدلالة القرائن عليه، وهو كثير في اللُّغة، كقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ (البقرة ٢٨٦)، فقد حُذِف حرف النداء (يا) في هذه الآية مع المنادى (ربنا)، والأصل: يا ربنا، إلا أن لهذا الحذف أثراً في نفسية القائل (الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين)، وهو داخل في استجداء رحمة الله سبحانه، إذ لا يكون الأثر لمثل هذا القول، إلاّ إذا كانت درجة الإيمان قوية نابعة من إحساس عميق بمعنى الألوهية الواحدة لله سبحانه، فهو بذلك يُقرُّ بأنَّ الله تعالى ربُّ كل شيء عند قوله : "ربنا" وهو في الوقت نفسه يؤكد قربه من الله تعالى، لأن المعنى الإيماني طاغٍ على نفسية الطالب، لكون الأداة –ربما – فاصلاً بينه وبين الله سبحانه، ولأنها تستخدم كثيراً لنداء البعيد، لذا جاء التركيب ددونها لكون الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين يشعرون بقرب كبير من ربِّ العباد.

وقوله تعالى :"ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا"، يعني أن الطالب في ملكوت الله الروحاني، الذي يضفي معنى الخضوع والخشوع عليه، ولا يكون الإنسان كذلك إلاّ إذا تجرد من كل حُلَّةٍ دنيوية، وشعر بقرب من الله، فعندما يكون الإنسان قريباً من الله

---

(١) ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، ص٢٤٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

يطلب بدفء السؤال، لذا وافقت الآية بالحذف صورة الطالب فكان الحذف مُجلِّياً لهذه الصورة، ومعمقاً الحالة التي يكون عليها الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنون، وهي تشير إلى بعد يكمن في تحديد صفات المؤمن الذي لا يكون إلاّ إذا شعر بهذه الدرجة، بالقرب من الله تعالى.

وعليه قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـٰذَا بَلَدًا آمِنًا﴾ (البقرة ١٢٦). فانظر الصلة التي وصل إليها إبراهيم مع الله سبحانه، إنها قوية لدرجة تجرّد التركيب من الأدوات، فالياء محذوفة عند قوله (ربّ) وهذا يعني قوة الإيمان التي تدفع إلى مباشرة الطلب دون وساطة.

ومنه قول الله عز وجل: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ﴾ (البقرة ٢٦٠)، إخالني أعرف قوة إيمان إبراهيم عليه السلام، بمباشرة سؤاله، وبحذف حرف النداء المؤكّد لقوة إيمانه.

ويحذف حرف العطف إن دلّ عليه المعنى، نحو: مررت بالأصدقاء واحداً واحداً، أي واحداً فواحداً، ويكون هذا الحذف في (أو والفاء والواو) ومن ذلك قوله تعالى: ﴿صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ (البقرة ١٨).

فالعاطف هنا محذوف بتقدير: صم وبكم وعمي، لكن هل لهذا الحذف أثر؟ أحسب نفسي تحاول الإجابة بتراكمات من دلالته التي خلفها الحذف فيها، فقولنا: (صم وبكم وعمي) يعطي تفرداً لهذه الصفات التي تدفع إلى الشعور بتفرقها، وبهذا التفرق يكون فتور في درجة الوصف لأولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى. أما ورود الآية بحذف حرف العطف فإنه يجذب حس المتذوق إلى اتحاد هذه الصفات، وهذا يعني أنهم فقدوا الإحساس بصمهم وبكمهم وعميهم، لذا قال سبحانه عنهم :"فهم لا يرجعون" والسبب هو أنهم متجردون من هذه النعم. فأولئك فقدوا معنى الحياة بهذه التجارة، لأن حياة الأصمّ الأبكم الأعمى، ليست حياة، بل هي عذاب، فبإرادتهم عذبوا أنفسهم، أو حكموا عليها بالعذاب، فمن اجتمعت فيه هذه الصفات كانت لذة الحياة في فيهِ، كلذة

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الموت إن وجدت، لكون هذه الصفات معنى للحياة. فلا تحكم على نفسك بالموت والعذاب مسبقاً.

وحُذف العاطف عند قوله تعالى: ﴿بَلَى مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة ٨١). وهو على تقدير: وهم فيها خالدون، فكان الحذف مُشْعِراً بأنّ الزمن معدوم بين الخبر الأول (أولئك أصحاب النار) والثاني (هم فيها خالدون) لكونهما متتابعين متداخلين، وقوله :(هم فيها خالدون) "خبر بعد خبر، لأنهما خبران عن شيء واحد، فلهذا لم يحتج إلى العاطف، وإذاً فإن الضمير يربط الثاني بالأول، كما أن العاطف يربطه به"[1].

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

(١) الفريد في إعراب القرآن المجيد: حسين بن أبي العز الهمذاني ٣٢٢/١.

الملحق

تحفل سورة البقرة بمواطن الحذف المختلفة: فقد كان تحليلنا لبعض هذه المواطن. واستدركنا بعضها الآخر في هذا الملحق، توصلنا إليه من كتب إعراب القرآن الكريم، وكتب المفسرين والنحويين والبلاغيين، حسب كثرة ترددها في السورة. تمثَّل بما يلي:

حذف الاسم

ـ حذف المبتدأ

رقم الآية في سورة البقرة	الآيـــــة	المحذوف المقدَّر
٤٦	الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم	هم الذين
٦٣	الرحمن الرحيم	هو الرحمن الرحيم
١٧٧	أولئك الذين صدقوا	أولئك هم الذين صدقوا
١٧٨	فمن عفي له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف	فالواجب اتباع
١٨٥	شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن	هذا شهر رمضان
١٨٥	هدى للناس	هو هدى للناس
١٨٥	فعدة من أيام أخر	فالواجب عدة
٢٢٠	فإخوانكم	فهم إخوانكم
٢٤٥	مَنْ ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه	فالله يضاعفه
٢٧١	ويكفِّر عنكم سيئاتكم	وهو يكفر عنكم
٢٧٣	للفقراء الذين أُحصروا	هي للفقراء
٢٨٠	وإن كان ذو عُسرةَ فنظرة	فالواجب نظرة
٢٨٣	إن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان	فالمستوثق به رهان

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

رقم الآية في سورة البقرة	الآيـــــة	المحذوف المقدّر
	حذف المفعول به	
١٧	مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً	استوقد صاحبه ناراً
٢١	لعلكم تتقون	تتقون غضبه أو عذابه
٢٤	فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا	لم تفعلوا ولن تفعلوا ذلك
٤٠	واذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم	أنعمتها عليكم
٥٤	إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل	باتخاذكم العجل إلهَ
٥٨	وسنزيد المحسنين	وسنزيد المحسنين ثواباً وكرماً وعلواً
٦٠	وإذ استسقى موسى لقومه	استسقى موسى ربه
٧١	وما كادوا يفعلون	وما كادوا يفعلون ذبح البقرة
٩٣	سمعنا وعصينا	سمعنا قولك وعصينا أمرك
١٦٥	يحبونهم كحب الله	كحب الله المؤمنين
١٧٣	فمن اضطر غير باغ ولا عاد	غير باغ الميتة
١٨٢	فمن خاف من موص جنفاً	خاف ظهور الجنف
١٨٥	فمن شهد منكم الشهر فليصمه	فمن شهد منكم المصر في الشهر
١٨٩	ولكنّ البرّ مَن اتقى	مَنْ اتقى محارمه أو عطاياه
٢٠٠	ربنا آتنا في الدنيا وما له في الآخرة من خلاق	آتنا ما نريد في الدنيا
٢٨٤	فيغفر لمن يشاء	فيغفر الذنوب لمن يشاء
	حذف المضاف	
١٩	أو كصيب من السماء	أو كأصحاب صيب
٤٨	اتقوا يوماً	اتقوا عقاب يوم
٥١	وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة	انقضاء أربعين
٥٨	فكلوا منها	فكلوا من ثمرها
٩٣	وأُشرِبوا في قلوبهم العجل	حب عبادة العجل
١٠٢	واتبعوا ما تتلوا الشياطين على ملك سليمان	على زمن ملك سليمان
١٢٣	واتقوا يوماً	واتقوا عذاب يوم
١٣٣	ما تعبدون من بعدي	من بعد موتي

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

رقم الآية في سورة البقرة	الآيـــــة	المحذوف المقدّر
١٥٨	إنّ الصفا والمروة من شعائر الله	إنّ طواف الصفا والمروة
١٦٧	كذلك يريهم الله أعمالهم	جزاء أعمالهم
١٧٥	فما أصبرهم على النار	على أفعال أهل النار
١٧٨	فمن عفي له من أخيه	من دية أخيه
١٧٩	ولكم في القصاص حياة	ولكم في شرع القصاص حياة
١٨٩	ولكنّ البرَّ مَنْ آمن	ولكنّ البرَّ برُّ مَنْ آمن
١٩٧	الحج اشهر معلومات	وقت الحج أشهر معلومات
٢١٠	أن يأتيهم الله	أن يأتيهم أمر الله
٢١٩	يسألونك عن الخمر والميسر قل فيهما إثم كبير	في تعاطيهما إثم كبير
٢٤٩	فمن شرب منه فليس مني	فليس مِنْ اتباعي
٢٥٩	وانظر إلى العظام كيف ننشزها	وانظر إلى حال العظام
٢٨١	ثم توفى كل نفس ما كسبت	جزاء ما كسبت
	حذف الموصوف	
٤	وبالآخرة هم يوقنون	وبالدار الآخرة
٣٥	وكلا منها رغداً حيث شئتما	أكلاً رغداً
٦٢	وعمل صالحاً فلهم أجرهم	وعمل عملاً صالحاً
٩٠	أن ينزل الله من فضله	أن ينزل الله شيئاً من فضله
٩٥	والله عليم بالظالمين	بالأشخاص الظالمين
١٢١	والذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته	يتلونه تلاوة حقاً
١٢٦	قال ومن كفر فأُمتّعهُ قليلاً	فأمتعه متاعاً قليلاً
١٣٠	ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين	في الدار الدنيا وفي الدار الآخرة
٢٦٧	ولا تيمموا الخبيث منه تنفقون	ولا تيمموا المال الخبيث

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

رقم الآية في سورة البقرة	الآيـــــة	المحذوف المقدّر
	حذف الفعل	
١	الم	واتل الم
١٣	وعلى أبصارهم غشاوة	وجعل على أبصارهم غشاوة
٢٥	الذي جعل لكم الأرض فراشاً	أعني الذي جعل لكم الأرض
٢٧	الذين ينقضون عهد الله	أعني الذين ينقضون
٣٠	وإذ قال ربك للملائكة	واذكر إذ قال
٤٦	الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم	أعني الذين يظنون
٧٢	وإذ قتلتم نفساً	واذكر إذ قتلتم نفساً
١٠٢	فيتعلمون منهما ما يفرقون به	فيأتون فيتعلمون منهما
١٢٤	وإذ ابتلى إبراهيم ربه	واذكر إذ ابتلى
١٢٦	ومن كفر أمتعه قليلاً	أرزقه فأمته
١٣٥	بل ملة إبراهيم	بل نتبع ملة إبراهيم
١٦٧	لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم	لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم لتبرأنا
١٧٣	فمن اضطر غير باغ فلا إثم عليه	فمن اضطر غير باغ فأكل فلا إثم عليه
١٧٨	الحر بالحر	يقتل الحر بالحر
١٧٧	والصابرين في البأساء والضراء	أمدح الصابرين في البأساء والضراء
١٨٤	من كان منكم مريضاً أو على سفر فعدةٌ من أيام أخر	فتجزيه عدة من أيام أخر
١٨٧	تلك حدود الله فلا تقربوها	تنبهوا فلا تقربوها
١٩٦	فمن كان منكم مريضاً أو به اذى من رأسه ففدية	فحلق ففدية
٢٢٠	الذي جعل لكم الأرض فراشاً	أعني الذي جعل لكم الأرض فراشاً
٢٣٩	فإن خفتم فرجالاً	فصلوا رجالاً
٢٤٠	والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجاً وصية	يوصون وصيةً
٢٤٣	فقال لهم الله موتوا ثم أحياهم	فماتوا ثم أحياهم
٢٥٩	وانظر إلى حمارك ولنجعلم آية للناس	لتستيقن ولنجعلك آية للناس
٢٦٠	وإذ قال إبراهيم ربِّ أرني كيف تحيي الموتى	واذكر إذ قال إبراهيم
٢٦٥	فإن لم يصبها وابل فطلٌّ	فيصيبها طلٌّ

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

رقم الآية في سورة البقرة	الآيـــــة	المحذوف المقدّر
٢٨٢	فإن لم يكن رجلين فرجل وامرأتان	فيكفي شهادة رجل وامرأتان
٢٨٥	قالوا سمعنا وأطعنا غفرانك	واغفر غفرانك
	حذف الجمل	
٥٤	فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم	فإنْ فعلتم ذلك فقد تاب عليكم
٦٠	فقلنا أضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه	إنْ تضرب ينفجر
٨٠	قل اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده	إنْ اتخذتم عند الله عهداً فلن يخلف الله عهده
٩١	قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل إن كنتم مؤمنين	إنْ كنتم مؤمنين فلم تقتلون أنبياء الله
٢٣	وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين	إن كنتم صادقين فافعلوا ذلك
٧٠	وإنا إن شاء الله لمهتدون	وإنا إن شاء الله هدايتنا لمهتدون
٨٩	ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق	لما جاءهم كفروا
٩١	إن كنتم مؤمنين	إن كنتم مؤمنين فافعلوا ذلك
٩٣	إن كنتم مؤمنين	إن كنتم مؤمنين فلم فعلتم ذلك
١٢٦	ومَنْ كفر فأمتعه قليلاً	ومَنْ كفر أرزقه فأمتعه قليلاً
١٦٧	لو أن لنا كرة فنتبرأ منهم	لو أنَّ لناكرة فنتبرأ لتبرأنا منهم
١٨٤	إن كنتم تعلمون	إنْ كنتم تعلمون فالصيام خير
١٩٢	فإن انتهوا فإن الله غفور رحيم	فاغفرا لهم فإن الله غفور رحيم
٢١٧	ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا	إن استطاعوا ردوكم
٢٣٩	فإن خفتم فرجالاً	فصلوا رجالاً
٣٠	وإذ قال ربك للملائكة أني جاعل في الأرض خليفة	جاعل في الأرض خليفة يفعل كذا وكذا
٣٣	قال يا آدم أنبئهم بأسمائهم فلما أنبأهم	فأنبأهم بأسمائهم فلما أنبأهم
١٧٣	فمن اضطر غير باغ فلا إثم عليه	فأكل غير باغ فلا إثم عليه
١٨٧	فالآن باشروهن	فالآن أبحنا لكم أن تباشروهن
٨٣	وآتوا الزكاة ثم توليتم	وآتوا الزكاة فقلبتم الميثاق ثم توليتم

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

رقم الآية في سورة البقرة	الآيـــــة	المحذوف المقدّر
٢٤٩	فلما فصل طالوت بالجنود	فأقروا بملكه وتنادوا إلى الجهاد، فلما فصل
٢٥٩	فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير	فأنشزها الله وكساها لحماً فلما تبين له قال
	حذف الحروف	
٢٥	وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات	بأن لهم جنات
٥٩	فبدّل الذين ظلموا قولاً غير الذي قيل	بغير الذي قيل
٥٧	وظللنا عليهم الغمام	عليهم بالغمام
٦٧	قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين	من أن أكون من الجاهلين
٨٣	لا تعبدون إلاّ الله	بأن لا تعبدون
٩٠	أن ينزل الله من فضله	لأن ينزل الله
٢٢٤	أن يبروا وتتقوا	في أن تبروا
٢٢٨	ثلاثة قروء	ثلاثة من قروء
٢٣٠	فإن طلقها فلا جناح عليهما أن يتراجعا	في أن يتراجعا
٢٣٢	فلا تعضلوهن أن ينكحن أزواجهن	من أن ينكحن
٩	وما يخدعون إلاّ أنفسهم	إلاّ عن أنفسهم
٢٥٣	ودفع بعضهم درجات	ودفع بعضهم على درجات
٨٤	وإذ أخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم	بأن لا تسفكون دماءكم
٧٥	أفتطعمون أن يؤمنوا لكم	في أن يؤمنوا
١٧٨	فمن عفي له من أخيه شيء	من أخيه بشيء
١٢٥	وعهدنا إلى إبراهيم واسماعيل أن طهرا بيتي	بأن طهرا بيتي
١٩٨	ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم	في أن تبتغوا
٢٣٥	ولا تعزموا عقدة النكاح	على عقدة النكاح
٢٤٦	قالوا وما لنا ألاّ نقاتل في سبيل الله	في أن لا نقاتل
٢٦٧	إلاّ أن تغمضوا فيه	إلاّ على أن تغمضوا فيه
١٨٤	فمن تطوع خيراً	فمن تطوع بخير

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

رقم الآية في سورة البقرة	الآيـــــــة	المحذوف المقدّر
١٨٠	إن ترك خيراً الوصية للوالدين	فالوصية للوالدين
٦٧	قال أعوذ بالله	فقال أعوذ بالله
٦	سواء عليهم	أسواء عليهم
٢٢٨	والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء	والمطلقات ليتربصن بأنفسهن
٣٦	بعضكم لبعض عدو	وبعضكم لبعض عدو
٣٩	هم فيها خالدون	وهم فيها خالدون
٢٨	وكنتم أمواتاً	وقد كنتم أمواتاً
١٨٤	وعلى الذين يطيقونه فدية	وعلى الذين لا يطيقونه فدية

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

الخاتمة:

لعلَّ القيمة التي تدفعنا إلى مثل هذه الدراسة تكمن في معنى النص القرآني اللامتناهي، فنسق التراكيب القرآنية على نمط عربي أصيل ذي قواعد محكمة مسبورة تُشعر الإنسان بمدى المعنى الذي لا بد للعاقل من التأمل فيه، ليتعرف ما فيه من عجائب وإعجاز.

ولعلَّ الدلالات التي تختفي تحت ظلال هذه التراكيب، هي أكبر دليل على المدى المعجز لآيات الله عز وجل، فهي مُحْكَمَةُ المبنى والمعنى، تستطيع بها أن تصل إلى ضالتك.

ولا تكون هذه الدلالات ثابتة بتركيب معين؛ عندما نرى التركيب نعرف دلالته، بل تتنوع الدلالات تبعاً للتركيب في نسقه اللغوي، إضافة إلى تنوع فكر المتلقي أو الدارس. وهذا يجعل النص القرآني مرناً قابلاً للتفسير المعمق في كل لحظة، أي أنَّ الدارس لأسلوب القرآن لا يستطيع أن يقطع الكلام في معاني ألفاظه إلا إذا كانت من قبيل الثوابت التي لا تتغير، لأن الأمر يرجع في كثير من الأحيان إلى إحساس المتلقي. فالحَدْسُ لا يقف مكتوف الأيدي عند إمعان النظر في الآية ليقدّر المحذوف، وهو الذي يخلق تعددية القراءة، وكل قراءة إضافة قراءة، تفتح المجال للخيال واسعاً لأجل التفكُّر، والإضافة، وبالتالي تحرك المشاعر والأحاسيس والفكر، فالقرآن لا تفنى عجائبه.

فدراسة القرآن الكريم من حيثُ دلالةُ التركيب كان موضوع البحث، لذا وُسِمَ بـ(بلاغة الحذف في التراكيب النحوية)، وقد طُبِّقَ على سورة البقرة، تحديداً لهذا الموضوع.

اتخذ الدرس البلاغي بشقيه المتقدم والمحدث مجالاً للتنظير، ليكون الأساس العلمي الذي نستقي منه عند التطبيق. فكان هذا المجال وصفاً لحالة أسلوب الحذف عند علماء البلاغة المتقدمين، وعُدَّت نظرتهم إليه أوّلية في الإشارة إلى قيمته الدلالية، وإلى

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

أسلوبيته، حتى جاء عبد القاهر الجرجاني، الذي أخذ يطبق كلامهم على الشعر فأبرزه بصورة واضحة المعالم، وهو مَنْ كوّن الخطوط العريضة له كأسلوب تعبيري قوي.

ولم يقدّم المتأخرون منهم كالسكاكي والقزويني شيئاً في دراسة هذا الأسلوب، فقد اقتصر عملهم على التصنيف والتبويب والجمع.

ثم كانت آراء المحدثين البلاغيين من علماء هذا العصر في هذا الأسلوب، فَتَبَيَّن أنهم لم يضعوا منهجاً خاصاً به، على الرغم من اطلاعهم على مناهج العلم الحديثة المتنوعة، وقد اكتفوا بتطبيق بعض النماذج، كالدراسات النفسية في بعض النصوص عند نفرٍ منهم.

وبذلك أسفرت خطوات المتقدمين والمحدثين في هذا المجال في الكشف عن أسلوب الحذف ثم الاهتمام به، والنظر فيه ليكون منهجاً أسلوبياً في الدراسات العربية الحديثة عند معالجة النصوص.

أمّا الفصل الأخير من البحث فقد توقف عند سورة البقرة ليطبِّق ما أفاده دارسه من الفصل الأول، وما علق في ذهنه من تصورات لهذا الفصل، فكان الحذف في سورة البقرة؛ من حذف للاسم والفعل، والجمل والحروف، ليتخذ منهجاً ثابتاً عند معاينة النصوص التي وقع عليها، تتمثل في نظرة النحاة في كلٍّ منها، ثم عرض دلالات البلاغيين، وبعدئذٍ تمثيل ذلك كله مطبقاً على مواطن الحذف في السورة.

وفي نهاية الموضوع وعلاوة على ما سبق يمكننا القول بأنّ:

- الحذف اللغوي القرآني لا يحدث عبثاً، وإنّما يأتي على السليقة اللغوية العربية، ليبيّن أنّ القرآن جاء على سمت كلام العرب، ومن هنا كان تحدي الله سبحانه للبشرية بأن يأتوا بمثله أو بجزء من مثله حتى وصل إلى درجة تحديهم بأن يأتوا بآية من مثله، ليؤكد بأنّ اللغة العربية ذات مزايا عظيمة تدرك بعضها فيأتي على ألسنتنا،

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ولا ندرك بعضها الآخر فنعجز عنه، ومن هنا كانت معجزة القرآن الكريم للبشرية جمعاء أو قل جانباً من هذه المعجزة.

- الحذف يصيب اللفظة والجملة والحرف، وهو ليس خللاً، وإنَّما هو داخل في اللغة كالذكر تماماً كلٌّ في موضعه يؤدي الغرض المطلوب منه، فالحذف يدفع إلى التفكير والتأمل وبالتالي يقوي المعنى ويزيده عمقاً.
- الحذف يواجه الفكرَ، فيأخذ الآخر بالبحث عن الأول، وعن دوافعه فيكوِّن طاقة، تخلق تعددية المعنى، ولا سيما إذا تعدد هذا الفكر وتنوع.
- الحذف هو العنصر المعقد في اللغة، لأنَّه يواجه العقل، فيبرز قيمة اللغة وقوتها، وقدرتها على أن تجعل الحذف أبين من الذكر في موضعه.
- الحذف أسلوب بلاغي يتصل مباشرة بالتراكيب النحوية للجملة العربية، فهو الغائب في التركيب الحاضر في الدلالة.
- الحذف سمة مشتركة بين النحو العربي، وعلم اللغة التحويلي، لأنَّهما يؤمنان بقيمة الحذف المعنوية.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

١- **اتجاهات البحث الأسلوبي**: شكري عياد، دار العلم للطباعة والنشر -الرياض، ط١، ١٩٨٥.

٢- **الاتجاه العقلي في التفسير**: نصر حامد أبو زيد، دار التنوير للطباعة والنشر - بيروت، ط٣، ١٩٩٣.

٣- **أساليب بلاغية**، (الفصاحة والبلاغة والمعاني): أحمد مطلوب، وكالة المطبوعات - الكويت، ط١، ١٩٨٠.

٤- **أسرار البلاغة**: عبد القاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، دار المدني - جدة، ط١، ١٩٩١.

٥- **الأسس الجمالية للإيقاع البلاغي في العصر العباسي**: ابتسام أحمد حمدان، دار القلم العربي - حلب، ط١، ١٩٩٧.

٦- **الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية**: مجيد عبد الحميد ناجي، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت، ط١، ١٩٨٤.

٧- **أسلوب التوكيد في القرآن الكريم**: محمد حسين أبو الفتوح، مكتبة لبنان-بيروت، ط١، ١٩٩٥.

٨- **الأصول البلاغية في كتاب سيبويه وأثرها في البحث البلاغي**: أحمد محمد سعد، مكتبة الآداب - القاهرة، ط١، ١٩٩٩.

٩- **إعراب القرآن الكريم وبيانه: محيي الدين الدرويش**، دار الإرشاد للشؤون الجامعة - حمص، د.ط، ١٩٨٨.

١٠-**الأعمال الشعرية الكاملة**: أمل دنقل، مكتبة مدبولي-القاهرة، ط٢، ١٩٨٥.

١١-**الإكسير في علم التفسير**: الطوفي سليمان بن عبد القوي البغدادي، حققه: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب ومطبعتها -القاهرة، د. ط، ١٩٧٧.

١٢-**التباس الفعل بما أسند إليه أو تعلق به**: د. سلمان القضاة، مجلة المعلمين، ع٢٠، ١٩٩٩.

١٣-**أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك**: ابن هشام، المكتبة العصرية - بيروت، د. ط، د.ت.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

١٤-**الإيضاح في علوم البلاغة** : جلال الدين محمد بن عبد الرحمن القزويني، قدمه وعلق عليه وشرحه: علي أبو ملحم، دار مكتبة الهلال- بيروت، ط٢، ١٩٩١.
١٥-**البحر المحيط**: أبو حيان الأندلسي، دار الكتب العلمية- بيروت، ط١، ١٩٩٣.
١٦-**البرهان في علوم القرآن**: بدر الدين الزركشي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٨٨.
١٧-**البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن**: كمال الدين عبد الواحد الزملكاني، تحقيق: خديجة الحديثي وأحمد مطلوب، مطبعة العاني - بغداد، ط١، ١٩٧٤.
١٨-**بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة**: جلال الدين السيوكي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط١، ١٩٦٥.
١٩-**البلاغة تطور وتاريخ**: شوقي ضيف، دار المعارف - القاهرة، ط٩، د.ت.
٢٠-**بلاغة الخطاب وعلم النص**: صلاح فضل، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب- الكويت، د.ط، ١٩٩٢.
٢١-**البلاغة العربية بين القيمة والمعيارية**: سعد أبو الرضا، د.د، د.م، ط١، ١٩٨٤.
٢٢-**البلاغة العربية (تاريخها ومصادرها ومناهجها)**: علي عشري زايد، مكتبة الشباب - مصر، ط٣، ١٩٩٦.
٢٣-**البلاغة العربية في تاريخها**: محمد علي سلطاني، دار المأمون للتراث - دمشق، ط١، ١٩٧٩.
٢٤-**البلاغة العربية في ثوبها الجديد (علم المعاني)**: بكري شيخ أمين، دار العلم للملايين - بيروت، ط١، ١٩٧٩.
٢٥-**البلاغة العربية قراءة أخرى**: محمد عبد المطلب، مكتبة لبنان ناشرون -بيروت، ط١، ١٩٩٧.
٢٦-**البلاغة عند السكاكي**: أحمد مطلوب، منشورات مكتبة النهضة-بغداد، ط١، ١٩٦٤.
٢٧-**البلاغة فنونها وأفنانها**: فضل حسن عباس، دار الفرقان - عمّان، ط١، ١٩٨٥.
٢٨-**البلاغة والأسلوبية**: محمد عبد المطلب، الهيئة المصرية العامة للكتاب-القاهرة، د.ط، ١٩٨٤.
٢٩-**بناء الجملة الفعلية في المعلقات السبع**: فريد العمري، جامعة اليرموك، ١٩٩٢. (رسالة ماجستير).

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٣٠-**البنيات الأسلوبية في لغة الشعر العربي الحديث:** مصطفى السعدني، منشأة المعارف – الإسكندرية، د.ط، ١٩٨٧.

٣١-**بنية الجملة العربية بين التحليل والنظرية:** المنصف عاشور، منشورات كلية الآداب بمنوبة – جامعة تونس، د.ط، ١٩٩١.

٣٢-**البيان والتبيين:** أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ، تحقيق: د. درويش جويدي، المكتبة العصرية – بيروت، ط١، ١٩٩٩م.

٣٣- **تأويل مشكل القرآن:** أبو محمد عبدالله بن قتيبة، شرحه ونشره: السيد أحمد صقر، دار التراث – القاهرة، ط٢، ١٩٧٣.

٣٤-**التأويل النحوي في القرآن الكريم:** عبدالفتاح الحموز، مكتبة الرشد – الرياض، ط١، ١٩٨٤.

٣٥-**التبيان في إعراب القرآن:** أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري، تحقيق: محمد البجاوي، دار الجيل – بيروت، ط٢، ١٩٨٧.

٣٦-**تربية الذوق البلاغي عند عبدالقاهر الجرجاني:** عبدالعزيز عرفة، دار الطباعة المحمدية – القاهرة، ط١، ١٩٨٣.

٣٧-**تسهيل الفوائد وتكميل المقاصد:** ابن مالك، حققه وقدم له: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر – مصر، د.ط، ١٩٦٧.

٣٨-**تفسير أبي السعود،** المسمّى: إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم: لقاضي القضاة الإمام أبي السعود محمد بن العماري، دار إحياء التراث العربي – بيروت، د.ط، د.ت.

٣٩-**ثلاث رسائل في إعجاز القرآن الكريم:** الرماني والخطابي والجرجاني، حققها وعلق عليها: محمد خلف الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف – مصر، ط٢، ١٩٦٨.

٤٠-**الجملة الشرطية عند النحاة العرب:** أبو أوس الشمسان، مطابع الدجوي – عابدين، ط١، ١٩٨١.

٤١-**جوانب من نظرية النحو:** نوم تشومسكي، ترجمة: مرتضى جواد باقر – جامعة البصرة، د.ط، د.ت.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٤٢-**الحذف البلاغي في القرآن الكريم**: مصطفى أبو شادي، مكتبة القرآن للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة، د.ت.

٤٣-**الخصائص**: ابن جني، المكتبة العلمية - مصر، د.ط، د.ت.

٤٤-**خصائص التراكيب**، دراسة تحليلية لعلم المعاني: محمد أبو موسى، مكتبة وهبة - القاهرة، ط٢، ١٩٨٠.

٤٥-**دعوة النحو العربي الأصيل (النحو والمعنى)**: كامل جميل ولويل، د.د - عمّان، د.ط، ١٩٩٤.

٤٦-**دلائل الإعجاز**: عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق: محمود محمد شاكر، مطبعة المدني - القاهرة، ط١، ١٩٩٢.

٤٧-**ديوان امرئ القيس**، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار المعارف - مصر، ط٤، ١٩٥٨.

٤٨-**ديوان البحتري**، عني بتحقيقه وشرحه والتعليق عليه: حسن كامل الصيرفي، دار المعارف - مصر، د.ط، ١٩٦٣.

٤٩-**ديوان عمر بن أبي ربيعة**، شرح وتقديم: علي مهنا عبدأ، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٨٦.

٥٠-**ديوان النابغة الذبياني**، شرح وتعليق: د. حنا نصر، دار الكتاب العربي - بيروت، ط١، ١٩٩١.

٥١-**رؤية جديدة للإيجاز والإطناب**: عبدالغني بركة، دار الطباعة المحمدية - القاهرة، ط١، ١٩٨٣.

٥٢-**روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني**: شهاب الدين السيد محمود الألوسي، إدارة الطباعة المنيرية، دار إحياء التراث العربي - بيروت، د.ط، د.ت.

٥٣-**سر الفصاحة**: ابن سنان الخفاجي، شرح وتصحيح: عبدالمتعال الصعيدي، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده - مصر، د.ط، ١٩٦٩.

٥٤-**شرح التلخيص في علوم البلاغة**: جلال الدين القزويني، دار الجيل - بيروت، ط٢، ١٩٨٢.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٥٥-**شرح شذور الذهب**: ابن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، د.د، د.م، د.ط، د.ت.

٥٦-**شرح المفصل**: ابن يعيش، عالم الكتب - بيروت، د.ط، د.ت.

٥٧-**الصورة الأدبية في القرآن الكريم**: صلاح الدين عبدالتواب، مكتبة لبنان ناشرون - بيروت، ط١، ١٩٩٥.

٥٨-**الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الأعجاز**: يحيى بن حمزة العلوي، مطبعة المقتطف - مصر، د.ط، ١٩١٤.

٥٩-**ظاهرة التخفيف في النحو العربي**: أحمد عفيفي، الدار المصرية اللبنانية - القاهرة، ط١، ١٩٩٦.

٦٠-**ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي**: طاهر حمودة، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع - الإسكندرية، د.ط، د.ت.

٦١-**ظاهرة الحذف في النحو**: أحمد محمد أبو رعد، مجلة البيان، ع ٢٦٤، ١٩٨٨.

٦٢-**علم الأسلوب**: صلاح فضل، دار الآفاق الجديدة - بيروت، ط١، ١٩٨٥.

٦٣-**علم الجمال اللغوي (المعنى والبيان والبديع)**: محمود سليمان ياقوت، دار المعرفة الجامعية - مصر، د.ط، ١٩٩٥.

٦٤-**علم المعاني**: عبدالعزيز عتيق، دار النهضة العربية - بيروت، د.ط، ١٩٨٤.

٦٥-**عن بناء القصيدة العربية الحديثة**: علي عشري زايد، كلية دار العلوم - القاهرة، د.ط، ١٩٧٨.

٦٦-**فخر الدين الرازي بلاغياً**: ماهر مهدي هلال، منشورات وزارة الإعلام - العراق، د.ط، ١٩٧٧.

٦٧-**الفرائد الجديدة**: عبدالرحمن الأسيوطي، تحقيق: عبدالكريم المدرّس، وزارة الأوقاف - بغداد، د.ط، ١٩٧٧.

٦٨-**الفريد في إعراب القرآن المجيد**: حسين بن أبي العزّ الهمذاني، تحقيق: د. فهمي حسين النمر ود. فؤاد علي مخيمر، دار الثقافة - الدوحة (قطر)، ط١، ١٩٩١.

٦٩-**فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور**: رجاء عيد، منشأة المعارف - الإسكندرية، ط٢، د.ت.

٧٠-**في البنية والدلالة**: سعد أبو الرضا، منشأة المعارف - الإسكندرية، د.ط، د.ت.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٧١-**في ظلال القرآن**: سيد قطب، دار الشروق - بيروت، د.ط، ١٩٧٣.
٧٢-**في نحو اللغة وتراكيبها**: خليل عمايرة، عالم المعرفة للنشر والتوزيع - جدّة، ط١، ١٩٨٤.
٧٣-**الكافية في النحو**: ابن الحاجب النحوي، شرح: رضي الدين محمد الاستراباذي، دار الكتب العلمية - بيروت، ط٣، ١٩٨٢.
٧٤-**الكتاب**: أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، المعروف بسيبويه، تحقيق وشرح: عبدالسلام هارون، مكتبة الخانجي بالقاهرة، ط٣، ١٩٨٨.
٧٥-**الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل**: محمود بن عمر الزمخشري، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١، ١٩٩٧.
٧٦-**لسان العرب**: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر - بيروت.
٧٧-**المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**: ضياء الدين بن الأثير، قدمه وعلق عليه: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر - مصر، ط٢، د.ت.
٧٨-**المجاز في البلاغة العربية**: مهدي السامرائي، دار الدعوة - حماة (سوريا)، ط١، ١٩٧٤.
٧٩-**مجاز القرآن**: أبو عبيدة معمر بن المثنى، عارضه بأصوله وعلق عليه: فؤاد سزكين، مؤسسة الرسالة - بيروت، ط٢، ١٩٨١.
٨٠-**المختصر في تاريخ البلاغة**: عبدالقادر حسين، دار الشروق-القاهرة، ط١، ١٩٨٢.
٨١-**المزهر في علوم اللغة وأنواعها**: عبدالرحمن جلال الدين السيوطي، شرح وضبط وتحقيق: محمد المولى وعلي البجاوي ومحمد أبو الفضل ابراهيم، المكتبة العصرية - بيروت، د.ط، ١٩٨٦.
٨٢-**مستتبعات التراكيب بين البلاغة القديمة والنقد الحديث**: عبدالغني بركة، دار الطباعة المحمدية - القاهرة، ط١، ١٩٨٩.
٨٣-**المطالع السعيدة**: جلال الدين السيوطي، تحقيق: نبهان ياسين حسين، دار الرسالة للطباعة - بغداد، د. ط، ١٩٧٧.
٨٤-**المعاني في ضوء أساليب القرآن**: عبدالفتاح لاشين، توزيع المكتبة الأموية، د.م، ط٤، ١٩٨٣.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

٨٥-**معاني القرآن**: أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، عالم الكتب - بيروت، ط٢، ١٩٨٠.

٨٦-**مغني اللبيب**: ابن هشام، تحقيق: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية - بيروت، د.ط، ١٩٨٧.

٨٧-**مفتاح العلوم**: سراج الدين محمد بن علي السكاكي، صنفه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية - بيروت، ط١، ١٩٨٣.

٨٨-**من أسرار البلاغة في القرآن**: محمود السيد شيخون، مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، ط١، ١٩٨٤.

٨٩-**المنتخب في كلام العرب**: محمد جعفر الكرباسي، مطبعة الآداب - النجف (في عدن)، د.ط، ١٩٨٣.

٩٠-**موجز النحو العربي**: محمد عبدالبديع، دار الأمين للنشر والتوزيع - القاهرة، ط١، ١٩٩٦.

٩١-**النحو الوافي**: عباس حسن، دار المعارف - مصر، ط٧، د.ت.

٩٢-**النحو والصرف**: عاصم البيطار، مطبعة الجاحظ - دمشق، د.ط، ١٩٨١.

٩٣-**النحو الوصفي من خلال القرآن الكريم**: محمد صلاح الدين بكر، مؤسسة الصباح - الكويت، د.ط. د.ت.

٩٤-**النحو العربي والدرس الحديث**: عبده الراجحي، دار المعرفة الجامعية - الاسكندرية، د.ط، ١٩٨٨.

٩٥-**النظم القرآني في سورة البقرة**: حسين الدراويش، الجامعة الأردنية، ١٩٨٦. (رسالة دكتوراة).

٩٦-**نقد النثر**: أبو الفرج قدامة بن جعفر البغدادي، دار الكتب العلمية - بيروت، د.ط، ١٩٨٠.

٩٧-**نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز**: فخر الدين الرازي، تحقيق: بكري الشيخ أمين، دار العلم للملايين - بيروت، ط١، ١٩٨٥.

٩٨-**همع الهوامع في شرح جمع الجوامع**: جلال الدين السيوطي، تحقيق: عبدالعال سالم مكرم، دار البحوث العلمية - الكويت، د.ط، د.ت.

© Arabic Digital Library-Yarmouk University

ABSTRACT

This study has investigated an originated Arabian technique that is the elision technique, by which it was shown the greater potentials and capabilities of the Arabic Language. Verse of Al-Baqara (Surat Al-Baqara) was put to be a field of study through which location of elisions were studied and demonstrated.

The study came into two chapters, the first was theoretical, where elision as found in contemporary and antecedent rhetoric scholars works was studied. The way by which such scholars dealt with this technique was shown and also the extent to which they reached in understanding its implications. So, it was a descriptive chapter for those cues in which it was represented first, then how it moved to be a way of linguistically expression, along with observing how contemporary rhetoric scholars benefited from cues made by antecedents as well as modern disciplines methods such as psychological analysis.

However, the other chapter was an applied one, where concepts investigated in the first chapter were applied on verse of Al-Baqara (Surat Al-Baqara). There were a variety of subjects to be dealt with ranged from elision of noun, verb, sentence, and particles and then were clarified grammatically and rhetorically.

Additionally, in this chapter a specified vision of the researcher were applied on verses of Al-Baqara (Surat Al-Baqara) analytically, in order to find out the linguistic miracles of the Holy Koran, as well as revealing the concise structures of the Arabic Language.

© Arabic Digital Library Yarmouk University